

أحمد زيادي

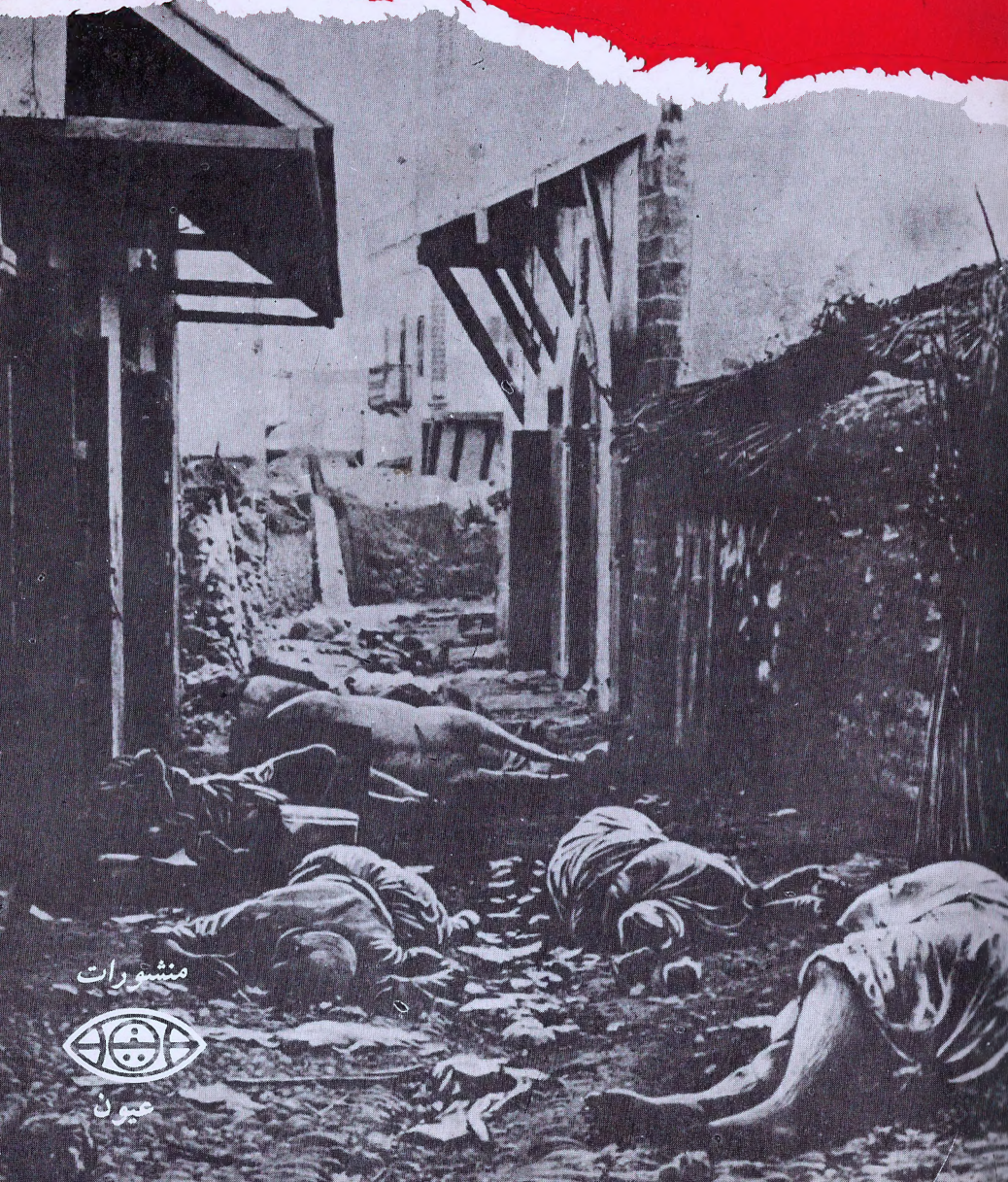
إنتفاضة الشّاوية

سنة 1907

دراسة، وثائق تاريخية، ملاحق أدبية

حضریات

kitabweb-2013.forumaroc.net



منشورات



عبون

إنتفاضة الشاوية

سنة 1907

دراسة، وثائق تاريخية، ملاحق أدبية

انتفاضة الشاوية سنة 1907

تأليف: أحمد زيادي

الطبعة الاولى الدار البيضاء - 1986

الايذاع القانوني 86/473

الناشر: عيون المقالات: ص ب 6714 سيدي عثمان الدار البيضاء

المطبعة دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع - الدار البيضاء .

أحمد زيادي

إنتفاضة الشاوية

سنة 1907

دراسة، وثائق تاريخية، ملاحق أدبية

منشورات  المقالات

الوفاء

إلى شهداء الدين في الوطن
في معارك المقاومة في التحرير والوحدة
الذين بنوا بأفئدتهم الطاهرة
حضوننا في قلوبنا هنيئة،
شيدوا بأرواحهم المقدسة قوة
المغرب في عهده، في أزمته
التي كانت محزنة فوارقة غرق كل

المغتربين.

أحمد زيادي

يزخر تاريخ المغرب الحديث بأحداث وطنية هامة، لو أتيح لها أن تدرس دراسة معمقة ونزيهة، لخلصت نفوس الناشئة من سلطان الكثير من المعلومات المغلوطة الشائعة التي روجها المؤرخون عن حسن نية أو عن سوءها. ولأيقظت لديها الوعي الصحيح بحركة التاريخ، والتبصر الواعي بوقائعه، والتتبع اليقظ لتقلباته، ولأعادت إليها الثقة بالنفس، والاعتزاز بالماضي، والايان بالمستقبل. وتعتبر انتفاضة الشاوية وأحداث الدار البيضاء سنة 1907، من الوقائع الحاسمة في تاريخ المغرب الحديث.

يقول المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان : «واقعة الدار البيضاء التي هي من أعظم الوقائع الشنيعة المفتتة للكبد، القاضية على قوى المغرب المادية والأدبية بالوهن والانقضاء.»

ويقول المؤرخ محمد بن عبود : «كانت مأساة الدار البيضاء من أعظم المآسي التي شاهدها تاريخ المغرب.»

وقد وقعت هذه الأحداث بعد حوالي سنة من انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء، في فترة اشتد فيها تكتل قوى الاستعمار، واتسعت دائرة تأمرها من أجل غزو إفريقيا وآسيا بحثا عن المواد الخام وعن الأسواق الجديدة والأيدي العاملة الرخيصة، وازدادت تهافت فرنسا وإسبانيا على المغرب، وخاصة فرنسا التي كانت قد احتلت مدينة وجدة في الشرق منذ أربعة أشهر، وتطلعت إلى إيجاد ثغرة على الساحل الغربي تحكم بها شد الحناق على المغرب، ثم تتسرب منها، ببسر وسهولة، إلى قلبه النابض. (مراكش وفاس والأطلس) وأطرافه الحيوية في الجنوب والشرق والشمال.

وتعتبر انتفاضة الشاوية حدثاً وطنياً بارزاً استقطب الرأي العام المغربي قاطبة، بل وشهد تضامن الشعب المغربي على اختلاف فصائله العرقية والاجتماعية والثقافية مع قبائل الشاوية في جهادها البطولي دفاعاً عن الدار البيضاء، وصموداً أمام الزحف الاستعماري الفرنسي.

وإن الذي دعاني إلى الاهتمام بهذا الموضوع هو وصف بعض المؤرخين لرجال الشاوية بأوصاف دنيئة، سلبتهم كل صفات المواطنة وحقوقها وواجباتها، واعتبرتهم جهالاً ورعاعاً واخلاطاً وأوباشاً وسفهاء وسخفاء ومتهورين.... الخ، ونعتوا انتفاضتهم نعتوا مهينة جردتها من كل قيمها الوعوية والوطنية والانسانية، وفصلتها عن دواعيها السياسية والاجتماعية، وأصولها التاريخية، وجعلتها مجرد فوضى أخلط لا يتدبرون العواقب.

وإذا كان لا ينتظر من المؤرخين الاستعماريين وأذنابهم الإنصاف والنزاهة فإنني، بعد أن اطلعت على ما كتبه عبد الرحمن بن زيدان عن احتلال الدار البيضاء، وحركة المقاومة في الشاوية، أصبت بخيبة كبيرة، ووقفت على مدى تحكم المنصب الاجتماعي والسياسي للمؤرخ في ما يرويهِ من أخبار، وما يصدره من أحكام. وعلى مدى انجذابه نحو الزاوية الرسمية في تتبعه للوقائع والأحداث، وتلويحه لها بألوان ترضي كل المتورطين فيها ما عدا الشعب الذي يحاول باستمرار وبمشقة صنع تاريخه بنفسه، فلا يجد إلا من يعرقل مساعيه، ويقلم أظافره، وينزع أنيابه، ويشوه حركته، ويسفه أهدافه، ويسلبه كل فضل، ويحمله كل التبعات.

لقد قال ابن زيدان بشأن حادثة الدار البيضاء : «ولقد كان لهذه الحادثة الخالكة دوي ورنه في العالم، تناقلتها ألسنة الجرائد الرائجة في ذلك العصر، عربية وعجمية، وذهب الكتاب في أسبابها كل مذهب، كل حسب أغراضه الشخصية، ومغامره السياسية، والحقيقة وراء جل ما حبروا وخبروا.»

والحق أن هذه القولة ليست تمهيداً للجهر بالحقيقة، وليست رسماً للآطار الذي ينبغي أن توضع فيه، ولكنها تبرير تمويهي لاختلافاتها، وتعليل ديمagogي لتشويهها.

وقد حاولت، في أول الأمر، جمع أخبار هذه الحادثة، وما قيل فيها من قصائد وأزجال وخطب وكتابات من أفواه من شهدوها عياناً، أو سمع عنها في حينها

أو عاشها من قريب أو بعيد، أو احتفظ ببعض وثائقها، بيد أني لم أتمكن من إنجاز الشيء الكثير من ذلك، فالموت اختطف جل جيل أوائل هذا القرن، والنسيان وتراخي الزمان تلاعبا بذكريات الشيوخ، والوثائق النفيسة تناقلتها الأيدي فانتبت إلى من لا يقدرها قدرها ولا ينزلها منزلتها، فضاعت.

وما بقي عالماً بأذهان بعض الشيوخ من تنف متفرقة، مبتور وقاصر عن إعطاء فكرة صادقة وواضحة عن الحقيقة.

فقد ذكر لي بعض الشيوخ أن الناس كانوا يتغنون بأزجال كثيرة تصور أحداث الدار البيضاء وجهاد الشاوية وبطولاتهم، لكنهم لم يذكروا لي غير أبيات متفرقة، مثل :

يوميك يا سطات	ما نخزنا ما عهدنا(1)
نهار فم الدير	ثأ من عريوات شبعوا بغرير(2)
ملّي دخلوا الكفار	دخلوا لولاد سعيد
البوعزاوي(3) مسكين	وحدو هارب بالدين(4)
لحق لمراكش	وجاهد في الدين
عادوا يمشوا اعدو	محلا بمحلا
سكن في البهجة	سكن في قبة خضرا
ماريدو(5) مسجونين	البريوطة هلكتهم(6)

وهكذا يتضح أن الحاجة تدعو بالحاج إلى الاهتمام بتاريخنا الحديث، والتعجيل بجمعه ودراسته قبل أن تندثر معالمه وتمحي آثاره، وتلاشى شواهده، ويتحول إلى أخبار محنطة مسجاة في كتب التاريخ الرسمية والمعرضة، تزييف الماضي وتبخس الاجداد حقوقهم، وتسفه بطولاتهم وتنفض سموم الوهن في عزائم الشباب.

لقد كان من وراء تأليف هذا الكتيب طموح علمي خالص، وغيرة وطنية صادقة بعيدة عن كل تعصب إقليمي ضيق.

وهذا الكتيب يعني أساسا باستقراء الاسباب الحقيقية للانتفاضة، واستجلاء ظروفها واستشفاف أجوائها، واستطلاع أصدائها، لذلك جعلته في قسمين :

في القسم الاول درست أسباب الانتفاضة وعواملها المحلية والوطنية وإرهاصاتها، وأشرت إلى أهم وقائعها، وكشفت عن الجوانب الوطنية فيها، واستعرضت أهم نتائجها الايجابية والسلبية.

وفي القسم الثاني أثبتت بعض الوثائق التاريخية المفيدة، وملاحق أدبية فصيحة وشعبية نادرة تساعد القارئ على استكمال معرفته حول الانتفاضة.

والله أسأل التوفيق والعون

أحمد زيادي

الدار البيضاء في رمضان 1405

الموافق ليونيو 1985

(1) صادف دخول قوات الاحتلال الفرنسي لمدينة سطات يوم عيد الاضحى.
(2) فم الدير : موضع، قرب التل المطل على سطات وهو مدخلها الغربي من جهة الدار البيضاء.

(3) البوعزاوي : الشيخ محمد بن الطيب الشاوي (توفي في مراكش عام 1332 / 1914)، صوفي مجاهد قاوم الاحتلال الفرنسي للشاوية.
من آثاره :

- المريد في منهل أهل التجريد.
- النحو المطلوب في شمائل النبي المحبوب.
- الرد على الشيخ محمد الكتاني.

الأعلام 6 / 178

(4) حينما احتل الفرنسيون المنطقة، نجا البوعزاوي بدينه فالتجأ إلى مراكش.
(5) ماريدو : مريدوه.
(6) اعتقل أتباعه ومريدوه وعوقبوا بتعبيد الطرق.
« تا من : حتى... »
« عريوات : المحتقرون الذين لايقوون على تحمل أية مسؤولية.
« بغيرير : رغيف مثقب غالبا ما يصنع أيام الاعياد والحفلات.. ذلك أن الرجال اشتغلوا بالجهاد، وأكل «البغيرير» من لا يستحقه من التافهين.

1 — الانتفاضة، تاريخيا

أسباب الانتفاضة

يبدو أن الانتفاضة الشعبية لقبائل الشاوية، التي شهدتها الدار البيضاء سنة 1907، لم تكن وليدة الصدفة، ولا نتيجة سبب واحد معين من تلك الاسباب الظاهرة⁽¹⁾ التي رواها المؤرخون،⁽²⁾ مثل تَبْشِ عمال «الشركة المغربية» — وهي شركة فرنسية، أكل إليها السلطان المولى عبد العزيز بناء مرفأ الدار البيضاء سنة 1905، تطبيقا لشروط دين فرنسي — لرفات مقبرة إسلامية قديمة مجاورة للمرفأ (ولعلها مقبرة سيدي أبي الليوث المدعو عند العامة بسيدي بليوط.)، واتخاذها مستودعاً لآلاتها وأدواتها، وميدانا لاشغالها⁽³⁾. والاعتداء على أملاك بعض المواطنين⁽⁴⁾. ومد السكة الحديدية⁽⁵⁾، لجلب أحجار الردم وما أثاره ذلك من خوف وغضب وسخط في نفوس سكان القبائل القريبة من المدينة، التي احترق القطار أراضيها، إذ اعتبروا هذا الإجراء رمزاً لاستيلاء الكفار على البلاد، واحتسبوا صفاراته استفزازاً وتحدياً،⁽⁶⁾ وإهانة لهم.⁽⁷⁾ وإصدار الخزن، في تلك الاثناء، لامره بجلوس المراقبين الاجانب بديوانات المغرب — ومن جعلتها ديوانة الدار البيضاء — مع الامناء المغاربة؛ لاستخلاص ديون بلادهم مباشرة.⁽⁸⁾

ذلك لان جلوس المراقبين الاجانب إلى جانب الامناء المغاربة لا ينهض بمفرده ليكون سببا لتلك الاحداث العنيفة، فقد صار هذا الواقع الجديد عاديا بالنسبة للمغاربة، رغم تقززهم ونفورهم منه، منذ موقعة تطوان سنة 1860.

يقول السلطان المولى عبد العزيز : «لان جلوس هذا المراقب مع من ذكر (يقصد الامناء) تقدمت له نظائر عديدة من عهد سيدنا الجد رحمه الله (محمد بن عبد الرحمان بن هشام)، وفي حياة سيدنا المقدس بالله، (الحسن الاول)»⁽⁹⁾.

وتجدد هذا الواقع القهري سنة 1904، حين شرع المراقبون الفرنسيون، وفقا لشروط الدين المبرم في هذه السنة، يشرفون على الجمارك المغربية، بما فيها جمر

الدار البيضاء. حقا لقد كان هذا الإجراء «سبباً في إثارة السكان والسلطات المخزنية المحلية»⁽¹⁰⁾ في تلك السنة، لكن الثورة ما لبثت أن خمدت.

كما أن أشغال «الشركة المغربية» ابتدأت منذ سنة 1905، ولا يعقل أن يكون رد الفعل الشعبي، على ما ترتب عنها من نبش المقبرة، ومد الخط الحديدي، وانتهاك حرمت الأراضي، واستفزاز أهلها، قد كمن طيلة سنتين، بدون أي مبرر داخلي أو خارجي. ثم إن خرقاً إدارية وقانونية كهذه كان من الممكن، لو كانت هي الأسباب الحقيقية، أن تعالج بالأساليب الإدارية والطرق الدبلوماسية المعهودة. إن تلك الانتفاضة الشعبية إذن، لم تكن عملاً فوضوياً ولا اندفاعاً عشوائياً، ولا عصياناً طارئاً، وإنما كانت إحساساً جماعياً تلقائياً متأصلاً بالخطر، ووعياً متأصلاً وصادقاً بحقيقة الواقع، وصرخة وطنية مخصصة منذرة بالمأساة.

وبما ثبت ذلك أنه في أبريل من نفس السنة، أي قبل الانتفاضة، وقبل الأحداث الدامية بأكثر من أربعة شهور «تجمع عدد كبير من القبائل حول المدينة»⁽¹¹⁾ مما يمكن اعتباره مخاضاً لرد الفعل الشعبي، وإنذاراً للمخزن المنحل لتدارك الموقف قبل فوات الأوان.

ولم تكن القبائل المحيطة بالدار البيضاء معزولة سياسياً عن بقية فئات المجتمع المغربي، فقد كانت تؤيدها في موقفها من المراقب الجمركي الفرنسي السلطات المحلية المخزنية نفسها،⁽¹²⁾ يقول محمد خير فارس : «وبدأ الصدام بين الافرنسيين والاهالي الذين انضم إليهم الجنود المخزنية»⁽¹³⁾.

كما كان أمناء الجمرك وأعيان المدينة مساندين لها بل ومتضامنين معها في إنذارها للحاكم⁽¹⁴⁾ بوبكر بن بوزيد، وأمره بوجوب توقيف أشغال الميناء، وإزالة الخط الحديدي، والحيولة بين المراقب الفرنسي وبين جمرک الدار البيضاء.⁽¹⁵⁾

بل كان في رجال الفكر الأوروبيين الأحرار من يعارض عمل فرنسا على تازيم الوضع في الدار البيضاء، مثل عصبة المثقفين بطنجة التي ما أن علمت بتوجه الباخرة الحربية (دوشيلة)، على عجل، إلى هناك حتى بادرت إلى دعوتها إلى الرجوع.⁽¹⁶⁾

وكان بين المسؤولين المخزنين الكبار من يعارض الإصلاحات الجديدة التي كان يتخذها المستعمر الأوروبي مطية لتحقيق أهدافه الاستعمارية البعيدة، ويميل إلى

المقاومة الشعبية للتغلغل الأجنبي بإعلان الجهاد، ولا يدخر جهداً في استمالة السلطان إلى نهجها، مثل رئيس الوزراء فضول غرنيط، وقائد المشور إدريس بن يعيش⁽¹⁷⁾

وهكذا، فانتفاضة الدار البيضاء تعود إذن إلى عدة عوامل منصهرة في بوتقة واحدة، يلتبس فيها كره الأجنبي Xenophobie⁽¹⁸⁾ بحب الوطن Patriotisme، ويصطبغ فيها العامل السياسي بالعامل النفسي، ويتلون فيها الوعي الوطني المبكر بالعاطفة الدينية الراسخة،⁽¹⁹⁾ ويلتحم فيها العنصر الاجتماعي بالتلقائية الفطرية. وقد كانت هذه العوامل تعمل مجتمعة، سرّاً وعلانية، بصفة مباشرة وغير مباشرة في تصعيد الحنق والغضب الشعبيين على سياسة الخزن، وتصرفات ممثليه التي رمت بالمغرب إلى الدرك الأسفل، مما جعله، وهو البلد الحر الأبي، الذي لم تدنس أرضه قدم أجنبية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، تلك الأرض «التي كانت أصعب منالاً على الأجانب من الصين نفسها»⁽²⁰⁾، يقع بسهولة في يد المستعمر الأوروبي، لذلك يقول محمد خير فارس «كانت حوادث الدار البيضاء مظهراً من مظاهر القلق والنقمة الذي سببه التدخل الأجنبي في شؤون المغرب»⁽²¹⁾.

ويمكننا تقسيم العوامل التي أذكت نيران هذا القلق، وأججت لظى هذه النقمة الشعبية العارمة، ثم فجرتها في تلك الانتفاضة، إلى قسمين :

1 — العوامل المحلية الخاصة :

— كانت الوضعية في الدار البيضاء قد تآزمت وأصبحت خطيرة، بسبب منافسة الأعيان لبعضهم البعض. وكان قائد الدار البيضاء ومديونة بوبكر بن بوزيد السلوي قد خلف الحاج حمو الذي كان ابنه قائد أولاد حريز، قد اغتاز من هذا التعيين، وعمل بطبيعة الحال على إيقاظ جميع أعداء بوبكر الممكنين، وعلى البحث عن طريقة لاطهار عدم كفاءته. ونظم غارات «حول المدينة، وسارع إلى فاس، العاصمة آنذاك، طاعنا في كفاءة خصمه، مشككا في قدرته على قبض زمام النظام.

وفي غيبة الخزن اقتنعت الهيئة القنصلية بالندار البيضاء، بوجوب إخبار السفراء في طنجة بالوضعية، فأعلنوا بإجماع طرد القائد⁽²²⁾.

— في يوم 27 ماي 1907 تمرد جنود مدينة الدار البيضاء لعدم تقاضيتهم لأجورهم ولمؤونتهم، واحتلوا محلات الجمرک، وظلوا ينتهبونها حتى وافق الأمناء على منحهم تسبيقا لما يستحقون. وحتى 8 يونيو لم يكونوا قد نالوا أجورهم بعد، فشنوا إضرابا لمدة يومين، وبعثوا بوفد إلى القنصل الفرنسي الذي وفق في نيلهم أجر الشهر الأخير⁽²³⁾.

— انتشار المجاعة والقحط. في منطقة الشاوية منذ أكثر من سنتين، وازدياد جدتها خلال سنتي 1905 و1906، فندرت الحبوب، وبلغ التضخم المالي أوجه، وارتفعت الأسعار تبعاً لذلك، واتسعت دائرة البطالة، ومات الناس جوعاً، وفنك التيفوس والجذري وغيرهما من الأوبئة الخطيرة، بالسكان فتكا ذريعاً، وتوقفت الصفقات⁽²⁴⁾.

— تغلغل النفوذ الألماني وتزايد تأثيره، وخاصة تأثير المصرفي (مانسيما) الذي جال في هذه الاثناء بلاد الشاوية محاولا شراء الأراضي.

وقد أهاج الالمانيون رجال الشاوية بما أشاعوه من أخبار، مستغلين فيها بعض مظاهر التدخل الاجنبي، «بأن السلطان قد باع البلاد للفرنسيين، الذين بعد أن حازوا الجمرک والميناء، بنوا سكة حديدية لغزو المغرب.»⁽²⁴⁾

— يرى صاحب (المفاكهة) أن السلطان المولى عبد العزيز كان يبغض أهل الشاوية : «وما نظر إليهم قط بنظرة رضا، بل ما كان يسميهم الا بالفساد والهاب، ويغري عليهم من بجوارهم من القبائل لسبي ذراريتهم، وتشتيت أموالهم.»⁽²⁵⁾

وقد نتساءل عن سبب هذا، فتبادر إلى أذهاننا ثورة الاعشاش (مزاب) التي رافقت بداية تقلد المولى عبد العزيز لمقالييد الحكم سنة 1314 / 1896، لكننا نعلم أن جل المناطق المغربية عرفت ثورات وفتنا مماثلة، قد تختلف في الغايات والاساليب والدرجة، ولكنها تتفق جميعا، أو تكاد، في الاثر مثل ثورة مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحمان في سنة 1313 هـ،⁽²⁶⁾ وعصيان بني مسارة 1321 / 1902، وثورة الجبليين بنواحي تطوان خلال سنتي 1321 / 1322 — 1903 / 1904،⁽²⁷⁾ الخ. فلا يبقى أمامنا إذن إلا تفسير واحد، لعله هو إحساس المولى عبد العزيز بميل الشاوية إلى أخيه وخليفته في مراکش المولى عبد

الحفيظ الذي كانت أمه من الشاوية، وكان في خلاف دائم مع السلطان، وقد تبلور هذا الخلاف بعد أحد عشر يوما من أحداث الدار البيضاء، في شكل انقلاب. أودى بسقوط سلطة المرلى عبد العزيز، ومبايعة أهل مراكش ثم فاس فيما بعد، للمولى عبد الحفيظ بشروط لا يتعلق بحثنا بها⁽²⁸⁾.

— لم تكن حملة مولاي الامين لحماية الوطن أو للدفاع عن الثغر البضاوي، وإنما كانت حملة تأديبية للشاوية؛ فقد روى عن مولاي الامين لما استشاره القائد بوكير بن بوزيد في شأن البارجة البحرية الفرنسية (غاليلي) المتأهية لضرب المدينة، وفي شأن إنزال بعض عساكرها لحراسة قناصلها، أنه أجابه «بأنه لا دخل له في صعود ولا هبوط، وإنما هو مكلف بحماية البلد من عيث الشاوية»⁽²⁹⁾.

— دعا السلطان المولى عبد العزيز قبائل الشاوية في دجنبر 1905 إلى دفع الضرائب، وحذرهم من مطامع فرنسا عدوة الاسلام، وسند بوحمارة في المغرب⁽³⁰⁾ — تدهور سلطة المخزن في العديد من نواحي البلاد، واتساع رقعة مناصق السبية باستمرار، وازدياد تدخل فرنسا في المنطقة، وسعيها إلى نشر نفوذها وتثبيت أقدامها فيها بتنمية أهمية المقاولات الاوربية في البلاد، وخاصة الفرنسية، وكان مشروع قد أسس سنة 1905 من طرف رونو، وهو مهندس رئيس المصلحة الهيدروغرافية البحرية، استوجب استخلاص أرض، وإنشاء مستودع للجمرك. وتوسيع الميناء، وقد تولت هذه الاعمال «الشركة المغربية» التي كان وراءها شنيدر⁽³¹⁾.

وهكذا «كان تطور الاحداث في منطقة الدار البيضاء يقوي الشعور المعادي ضد فرنسا»⁽³²⁾، خاصة بعد وصول السفينة الحربية (غاليلي) إلى ميناء الدار البيضاء⁽³³⁾.

2 — العوامل الوطنية :

من العوامل الوطنية التي فتحت أعين أهل الثغر البضاوي وقبائل الشاوية، على ما يحدق بالمغرب من أخطار تهدد حريته وأمنه واستقلاله، سياسة المخزن الفاشلة في القضاء على الثورات والفتن المشتعلة في مجموع البلاد؛ مثل الثورات التي أشرنا إليها سابقا، إضافة إلى أكبر ثورة هددت وحدة البلاد واستقلالها، وهي

ثورة بوحمارة الذي يقول عنه عبد الوهاب بن منصور «أحد كبار الثوار الذين نسفوا استقلال المغرب، وعجلوا بخزابه في العقد الثالث من هذا القرن الرابع عشر.» (34).

وكانت الضرورة قد دعت العديد من القبائل إلى تدارك الأوضاع المتردية، في خضم الانحلال العام للسلطة. وحينما ابتدأت أشغال الميناء البيضاوي كانت القبائل في ثورة مسلحة معلنة أو مستترة منذ أشهر، ففي يناير قُتل أو طردت كثير من القبائل قوادها، وحكمت نفسها بنفسها بواسطة مجالس ثورية مكونة من الأعيان المنتخبين من طرف كل مجلس، لكنهم كانوا لا يكادون يقوون على مزاوله السلطة الحقيقية أمام بطش قواد المخزن. (35)

ومن ذلك أيضا، مواقف المخزن الضعيفة والمهزوزة في محاولات يائسة للتماسك والثبات أمام المستعمر المتحمس للانقضاض على المغرب، وقد عصفت بتلك المحاولات جميعا شروط القروض التي التجأ إليها المخزن منذ سنة 1902، وخاصة قرض 1904 الذي أعطى فرنسا حق الاشراف على مداخيل الجمارك، واحتكار المال، وكان، كما قال دوسانت أولير، «تعميدا للحماية». وازدياد النفوذ الفرنسي على الحدود الشرقية المتوج باحتلال الجنرال (ليوطي) لرأس العين سنة 1904. (36) والنتائج السلبية لمؤتمر الجزيرة سنة 1906، المتلخصة في حصول المغرب — الذي كان يؤمل الفوز بمعونة فنية، ومساعدة مالية، وحرية العمل — على القليل من المال والكثير من التدخل. (37)

وفي سنة 1906 زار ماء العينين وجماعة من أعوانه المجاهدين أهم المدن المغربية آنذاك، لاستثارة روح الجهاد في نفوس المواطنين، ولطلب المساعدة بالرجال والأموال والأسلحة في مقاومتهم للاحتلال الفرنسي لشنقيط. وشاهدت الدار البيضاء مرور الشيخ ماء العينين عائدا من فاس، في طريقه إلى الساقية الحمراء قلب الصحراء المغربية في شتنبر 1906. وقد أعطى رجاله مثالا عمليا للكيفية التي ينبغي أن يجابه بها الفرنسيون، فأهانوا فرنسا، وهددوا بالقتل آخرين غيره، وتحت إلحاح القنصل الفرنسي صرف القائد المجاهد واتباعه الذين أثاروا الناس في كل المدن التي مروا بها، (38) وهكذا نجح ماء العينين ورجاله المجاهدون «في خلق جو مفعم بالعداء ضد فرنسا.» (39)

يضاف إلى ذلك «ظهور معارضة داخلية قوية ترعّمها عدد كبير من العلماء والأشرف بدعم من بعض المسؤولين في المخزن، وتأثير أفكار الجامعة الإسلامية» (40)

وكانت الثالثة الأثافي هي مقتل الدكتور موشان في 19 مارس 1907، وهو طبيب فرنسي استقر بمراكش منذ سنة 1905، وأشرف على مستوصف (41) لقي رواجاً وإقبالاً، ففكر بعد حصوله على الإذن والمال، في تحويله إلى مستشفى.

لكن بعد أسبوع واحد من عودته من فرنسا، وفي اليوم الذي سيغتل فيه، انتبه المواطنون إلى قصبة على سطح منزله (42)، وعلم فرنسي ببابه، فسارعوا، من تلقاء أنفسهم أو تحت إغراء رجل ألماني ملم ببعض العلوم الإسلامية وتفسير القرآن، ومكلف بالدعاية لبلاده، (43) إلى قتل موشان.

ورغم أن كثيراً من الأحداث المماثلة وقعت دون أن تثير أي ردود فعل قوية، فإن فرنسا رأت في مقتل موشان ذريعة طالما انتظرتها للتخلص من ميثاق الجزيرة، والوصول إلى حدود نهر ملوية؛ لذلك صرح بيشون وزير خارجية فرنسا، في البرلمان الفرنسي «أن الدكتور موشان المسكين قد أدى بموته خدمة كبيرة لعمل فرنسا في المغرب». (44)

وقد كان لموشان وغيره من الأطباء والعلماء الأجانب دور سياسي لم يخف عن المغاربة، بل إنهم كانوا يعتبرون كل سائح أجنبي في بلادهم جاسوساً يدرس أحوالهم تمهيداً لغزوهم؛ (45) لذلك فإنهم لما أغروا بقتل موشان أو اضطروا إليه، لم يقدموا على ما أقدموا عليه لكونه طبيباً، وقد عاش بينهم سنتين دون أن يمسه بأي أذى، بل أكثر من ذلك أحبوه وقصدوه طلباً للعلاج، وإنما أنزلوا به ما أنزلوا حينما تبينوا صفته السياسية ودوره الاستعماري.

وكانت شروط فرنسا للجللاء عن وجدة — المحتلة غداة اغتيال الدكتور موشان — مذلة للمخزن، سالية لما تبقى له من مكانة وهيبة في نفوس الشعب، لذلك ما أن أبدى المخزن استعدادده للاستجابة إليها، رغم ما فيها من نيل من سلطته، ومساس بكرامة المغرب، وتدخل في سياسة البلاد، (46)، حتى هبت قبائل الجنوب بزعماء قبائل الرحامنة، وراحت تحتشد حول مراكش منذرة خليفتها آنذاك المولى عبد الحفيظ، مطالبة له بطرد الأروبيين منها وبإطلاق سراح جميع المعتقلين في

حادثة مقتل موشان، والحيلولة دون تنفيذ قرار السلطان بعزل باشا مراکش عبد السلام الورزازي واستبداله بغيره : «وهددت بإعلان انفصال الجنوب المغربي عن مخزن فاس، إذا لم تستجب مطالبها.» (47)

إرهابات الانتفاضة :

لا نعلم السبب الحقيقي الذي دعا العديد من قبائل الشاوية إلى التجمع حول مدينة الدار البيضاء في أبريل سنة 1907، وإن كان بعض المؤرخين قد سلّكه ضمن الاضطرابات العامة التي عرفتها كثير من القبائل المغربية المعروفة ببلاد (السيبة)، لكن، لو كان الأمر كذلك، لما تفرق جمع هذه القبائل، ولما عادت إلى الولاء والطاعة بسهولة، ولما استتب الأمن بمثل تلك السرعة لسبب بسيط هو رسو باخرة فرنسية بميناء الدار البيضاء، ووصول قوة مخزنية بقيادة مولاي الأمين، وبحلول الحصاد ! (48)

لقد كانت قبائل الشاوية تتسارع لاقتحام المعارك مع القوات الأجنبية خلال أيام الدار البيضاء الدامية 5 و6 و7 غشت 1907، ولم يردّها عن القيام بواجبها الوطني القصف المدفعي المركز والشديد من البواخر الفرنسية والألمانية، ولا الطلقات النارية الكثيفة لقوات الانزال المختلطة، فكيف يردّها مجرد رؤيتها لبخرة أجنبية ترسو بالقرب من الساحل !!

والذي نراه أن هذه الحركة كانت إرهاباً أو تجربة أولى شابتها بعض الهفوات، أو استشعرت القبائل فيها عدم استكمالها للمطلوب، أو حالت الظروف العامة بينها وبين تحقيق غاياتها المنشودة، أو ارتأت قادتها، وهم لا شك ذوو معرفة لا بأس بها بالسياسة، أن يستهلوا حركتهم بمرحلة سياسية، بعد أن أثبتوا قوتهم، ولفّوا أنظار المستعمر والمخزن معا إليهم بتجمع أبريل.

ومما يثبت ذلك أن مندوبي القبائل، وأمناء الجمرك، وأعيان الدار البيضاء، عقدوا اجتماعاً تدارسوا فيه وضعية المدينة ونواحيها، بعد الشروع في بناء الميناء وما ترتب عنه من انتهاك للحرمات، واغتصاب للممتلكات، وإهانة لسكان المنطقة، وما زامنه من سماح للمراقب الفرنسي بالجلوس بالجمرك «ووجهوا إنذاراً إلى حاكم المدينة بوجود رفع الخط الحديدي فوراً، وتعطيل أشغال الميناء ودعوة مراقب الجمرك الأفرنسي إلى مغادرة مركزه فوراً». (49)

وقائع الانتفاضة :

قصد، يوم 16 جمادى الثانية 1325 / 28 يوليو 1907، وفد من أعيان قبائل الشاوية مولاي الأمين أو بوبكر بن بوزيد⁽⁵⁰⁾ ليتدارس معه أسباب التوتر والبحث عن حلول سلمية لها، فامتنع عن مقابلتهم، وأجلت المقابلة إلى الغد، فلما عادوا في الغد، طال بهم الانتظار، وظلوا يلحون على المقابلة، فقبل لهم : «إن الأمير لازال نائماً، ولم يجرؤ أحد على إيقاظه، فكان هذا الجواب هو الرئيسي للتمرد، والخطوة الأولى في الأعمال الثورية»⁽⁵¹⁾، إذ وفر في نفوس هذه القبائل، وجوب الاعتماد على النفس في معالجة شؤونها، واعتبار الحزن وكأنه غير موجود. وإيماناً من هؤلاء البدو بأنهم «هم المرشحون دائماً للأتعاب والقتال» وأن أهل الحاضرة هم «أهل صنائع وتجارة في الغالب»⁽⁵²⁾، انطلقوا يطوفون في شوارع المدينة ينادون بالجهاد، ويدعون الناس إلى إخلاء المدينة خلال ثلاثة أيام، ضارين من يعترض طريقهم⁽⁵³⁾، بل إن برتغاليا ضرب حين أبدى سخريته من مناد بالجهاد⁽⁵⁴⁾.

فاستدعى قائد المدينة بوبكر بن بوزيد، إلى دار المخزن يوم 30 يوليو 1907، قناصل الدول الأجنبية وعدة شخصيات مرموقة من بينها أمناء الجمرك والمحاسب وأمين الأملاك، للتشاور معهم في الأمر، فألقوا المسؤولية كاملة على عاتقه، وأنى فحصل فرنسا إلا أن يوحه ويهدده⁽⁵⁵⁾.

وخلال ذلك انتزع الثوار السكة الحديدية في ناحية الصخور السوداء في طريق المحجر على بعد 400 متر من المدينة، مما نتج عنه انقلاب القطار وتحطمه وموت السائق وأعوانه⁽⁵⁶⁾.

وتحت إلهام مدير «الشركة المغربية» قصدت فرقة من العسكر والخيالة⁽⁵⁷⁾، منقلب القطار والمحجر (والغريب)، فأنجحوا العمال الأجانب الأحياء، وجمعوا جثث القتلى، ووزعت في ذلك اليوم فرق الحرس على دور القناصل : الفرنسي والإسباني والبريطاني والسويدي والألماني والنمساوي، واستتب الأمن بالمدينة.

لكن أعضاء الجالية الفرنسية بالدار البيضاء، ورئيس المفوضية الفرنسية بطنجة، ونائب قنصل فرنسا بالدار البيضاء، والصحافة الموالية للاستعمار، اغتتموا الفرصة، فبالغوا في تهويل الأحداث وتشويهها؛ فنشر الدكتور «ميرل»، أحد أعضاء الجالية، تقريراً مثيراً في مجلة لجنة أفريقيا الفرنسية⁽⁵⁸⁾ واحتج النائب

القنصلي، وحمل قائد الدار البيضاء مسؤولية ما وقع واتهمه بالتهاون،⁽⁵⁹⁾ ونشرت جريدة «السعادة» أخبار تلك الانتفاضة الشعبية تحت عنوان «مذبحة الدار البيضاء».⁽⁶⁰⁾ واستدعى المفوض الفرنسي دوسانت أولير القبطان أوليفي قائد البارجة «غاليلي» وأمره بالتوجه فوراً — دون انتظار تعليمات حكومته — إلى الدار البيضاء، وأوصاه بضرورة الإسراع إلى هناك لاختلاف زمام المبادرة في حماية الأجانب وممتلكاتهم، وإنزال الجنود الفرنسيين، بل وعدم التردد في قصف المدينة، إن اقتضى الحال ذلك،⁽⁶¹⁾ وألف على عجل، في طنجة «جمعية الشغيلة الفرنسية»، وأوحى إليها بتوجيه نداء إلى العمال الفرنسيين، ليضمن عدم معارضة الاشتراكيين الفرنسيين لمبادرتهم؛ لذلك بادرت الحكومة الفرنسية فور تلقيها أخبار الانتفاضة إلى إصدار أوامرها «إلى سفينتين حرييتين بمغادرة ميناء طولون إلى الدار البيضاء، وقررت احتلال المدينة وتأديب القبائل المقيمة حولها، بالاشتراك مع الحكومة الأسبانية، بحجة أن ميثاق الجزيرة قد خول الدولتين مهمة البوليس في هذه المدينة»⁽⁶²⁾، وحاولت فرنسا إقناع الدول الموقعة على ميثاق الجزيرة بما أقدمت عليه وبررت: «بسبب الحوادث الدامية وعجز السلطات المغربية عن السيطرة على رعاياها وحماية سلامة الأجانب»⁽⁶²⁾، وتنظيم بوليس المدينة والضواحي بالاتفاق مع الحكومة الأسبانية.

وفي 31 يوليوز سلم دوسانت أولير مذكرة للنائب السلطاني بطنجة محمد الطريس، حمل فيها قائد الدار البيضاء مسؤولية ما وقع فيها، وطلب منه بإلحاح إرسال قوة مخزنية إلى المنطقة، لإرجاع الأمن فيها إلى نصابه. لكن الطريس لم يقو على إنقاص قوات الحامية المغربية بطنجة خوفاً على الأجانب الموجودين هناك، كما أنه، في نفس الوقت، لم ير ضرورة لإرسال أية قوة إضافية.

وفي صباح هذا اليوم، وهو اليوم الثاني للانتفاضة، أصبح رجال القبائل المجاورة محتلين للمدينة بالخليل والمشاة، وجلس بعض رؤسائهم بباب المرسى يتفاوضون واجب الخروج من تجار اليهود. ودام الحال على هذه الوتيرة ثلاثة أيام، دون حدوث أي اضطراب.⁽⁶³⁾

وفي صبيحة اليوم الثالث للأحداث 1/ 8/ 1907 رست بميناء الدار البيضاء البارجة الحربية الفرنسية «غاليلي»، فصعد إليها نائب قنصل فرنسا، واصطفت فرقة من عسكر مولاي الأمين على الساحل، وراحت تعزف الموسيقى.

وبعد حين نزل النائب القنصلي ويده إنذار من ريان السفينة لقائد المدينة، يتضمن ثلاثة شروط، إذا لم تتحقق قبل الساعة الثالثة ستقبل المدينة، وهذه الشروط هي :

— إخلاء المختلين لباب المرسى.

— مغادرتهم للمدينة فوراً.

— تأمين السكة الحديدية ذهاباً وإياباً.

فدبر القائد والامناء وقواد العسكر، حيلة لإخراج رجال القبائل من المدينة، فهدأت الاحوال، وباشرت الجمارك أعمالها، وفتحت المتاجر، وشرعت المدينة أبوابها أمام الباعة والمشتريين، مع اشتراط عدم حمل السلاح. واستمر الحال على هذا المنوال نحو أربعة أيام، «وكان بإمكان المخزن أن يسيطر على الموقف، لولا أن ظهور السفينة الحربية الافرنسية غاليلية في الميناء في آب (64) عاد قَالَهَبَ الشعور» (65)، فبادر مولاي الامين إلى إغلاق أبواب المدينة، ووضع وحدة من الجنود أمام كل باب، وتدخل، باعتراف القبطان أوليفي نفسه، لتفريق البدو المحتشدين بالساحل، فقتل جنوده شخصين، واعتقلوا مثلهما، وفرقوا الباقي (65)

لكن القنصلية الفرنسية لم يكفها تصرف المخزن لإعادة الأمن والهدوء إلى المدينة؛ لأن فرنسا كانت في ذلك الوقت، تبحث عن سبب أكثر من مقتل موشان، تنكئ عليه في ضغطها على المخزن لتطبيق قرارات مؤتمر الجزيرة، ولتبرير احتلالها لوجدة، ولتعوض به الشروط التي اشترطتها مقابل الجلاء عنها، والتي حالت الظروف المستجدة دون تنفيذها، بل ولتضمن به احتلالها للمغرب في العاجل أو الآجل (67)؛ لذلك أرسلت القنصلية رسالة (68) إلى مولاي الامين في النصف الاخير من ليلة 4 غشت تخبره فيها بعزمها على إنزال فرقة عسكرية (69) من البارجة (غاليلي)، لحمايتها وحماية رعاياها الذين لا يثقون بالعسكر المغربي، فكلف مولاي الامين القائد بوكري بن بوزيد بالقيام بهذه المهمة، لكنه اكتفى هو أيضاً بتسليم المفاتيح لمخزني، وأمره بفتح باب المرسى. فنفذ المخزني الامر قبل طلوع الشمس، ونزلت فرقة من العسكر الفرنسي، فلما رأهم حراس الجمارك، الذين لم يخبروا بحيلة الامر، بوغثوا، فقام فيهم بواب (70) صائحا : «قوموا، اضربوا على أنفسكم وأولادكم يا كلاب، فإن النصارى جاءت لآخذ بلادكم»، وكان لهذه الصيحة القدرية — كما يدعوها أندري آدم — فعل السحر، إذ صهت العسكريين والمدنيين في قالب واحد، فانبعثوا كرجل واحد يتوهج غضبا وعداء (71)، واطلقوا النيران على الغزاة،

وعززهم في الدفاع محمد شيت، أحد المكلفين بحراسة الصقالة، برمية مدفع «إذ كان العامل المذكور (بوبكر بوزيد) أو عزز لهم ضرب تلك الدارعة إذا هي ابتدأت بالضرب»⁽⁷²⁾.

فاتخذ الجنود الفرنسيون المنزلون، هذا ذريعة لتحقيق بعض ما أنزلوا من أجله، فأطلقوا الرصاص على الحراس المغاربة، وعلى من كان هناك من الناس. وأثناء سير الفرقة إلى القنصلية الفرنسية كانت تمطر كل من لقيته من المارة بعباراتها النارية.

وفي القنصلية استقبل الحرس المخزني، الفرقة الفرنسية بالتحية العسكرية، لكن الفرقة أطلقت عليه نيران بنادقها،⁽⁷⁵⁾ وصعدت إلى السطوح، ومنها راحت تصلي العابرين بوابل رصاصها.

وعومل المغاربة في باقي القنصليات بنفس الوحشية، وكان القناصل قد زودوا بالأسلحة «لما كان لديهم من معلومات عما سيكون»⁽⁷⁶⁾، فجمعوا رعاياهم ليلاً، ووزعوا عليهم للدفاع عن أنفسهم «وما أن سمعت الطلقة الأولى من باب المرسى حتى شرعوا في ضرب المغاربة أينما ظهروا، وأينما مروا»⁽⁷⁵⁾

وقبل بزوغ شمس يوم الاثنين 5 غشت 1907 (25 جمادى 1325) بدأت البارجة الفرنسية في قبلة برج سيدي علال القيرواني والاحياء الاسلامية المجاورة له، فهب السكان مذعورين، وهرع جلهم نحو السور الجديد؛ أملاً في الاحتماء بمولاي الامين والخروج معه إلى البادية،⁽⁷⁷⁾ ولم يقو الباقون على الخروج بسبب تماطل الرصاص وكور المدافع، لكن مولاي الامين نفسه حيل بينه وبين الخروج، بسبب القصف الشديد من جهة⁽⁷⁸⁾، وبسبب وصول رجال القنصل إلى المدينة، إثر سماعهم لدوي مدافع العدو الاجنبي، للدفاع عنها، ولإغاثة سكانها، من جهة ثانية.

انتفاضة الشاوية بين الوطنية و الفوضى

استهل عبد الرحمن بن زيدان حديثه عن احتلال الدار البيضاء، بقوله : «تلك الواقعة التي تنفس بها صبح الخطوب، في أعماق القلوب، قام بحمل أعباء طاقتها الكبرى جهال رعاا الرعية، وأخلاط الأوباش، وسفهاء الاحلام من سخفاء

عقول قبيلة الشاوية الذين لا يتدبرون من العواقب، و لا يعلمون أن الإنسان لا يحصد إلا ما يذر.» (79)
ونعتمد في أماكن متفرقة (80) من حديثه عن هذه الواقعة (بالمئات المفسدين) و(الثوار).

ونسب إليهم محمد غريظ أعمال النهب والسفك وانتهاك الحرمات والفساد، ولم يخف شماتته بهم وتشفيه منهم، بعد انكسار حركتهم، وسقوط مدينتهم في يد القوات الفرنسية (80)، ومهاجم محمد راغون «الاعراب» (81)، ودعاهم شاهد عيان «العربان» (82).

وذكر شاهد عيان أن القبائل جاءت لسلب الديوانة ومخازن التجارة والحواشيت والدور التي تركها أهلها (83) وقريب من هذا الرأي رأي أندري أدع. (84)

لكننا نرى أن سبب هذا الحكم الجائر هو الجهل بحقيقة البدو، ذلك أن العادة التي توارثها أهل البادية واكتسبوها عبر القرون جعلتهم يعتبرون أنفسهم مسؤولين عن حماية أنفسهم وحماية أهل الحاضرة. وقد انتبه إلى هذه الحقيقة الاجتماعية الأصلية العلامة ابن خلدون، فقال «وأهل البدو، لتفردهم عن المجتمع، وتوحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية، وانتباذهم عند الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عند أنفسهم، لا يكلونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم، فهم دائما يحملون السلاح، ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوع الاغرا في المجالس وعلى الرجال وفوق الأتقاب، ويتوجسون للنبات والهيئات، ويتفردون في القفر والبيداء مدلين بآسهم، واثقين بأنفسهم، قد صار لهم البأس خلقا، والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع، أو استنفرهم صارخ، وأهل الحضر، مهما خالطوهم في البادية، أو صاحبوهم في السفر، عيال عليهم، لا يملكون معهم شيئا من أمر أنفسهم..» (85).

وقد سبق لنا أن جلينا موقف الخزن من قبائل الشاوية، وموقفها منه، ووضعيتها الخاصة في السياسة الخزنية، وألحنا إلى بعض ما يستشف من تحركاتها من ملامح وعي سياسي وطني مبكر قد يكون طابع الاقليمية غالبا عليه في هذه الانتفاضة، غير أنه لا يلغى الطابع الوطني العام ولا يناقضه. نلمس هذا الوعي في اليقظة والحذر اللذين كانا وراء الانتفاضة المشوبة بالطابع الديني، والحركة السابقة

لها المتسمة بالقلق والحيرة والرغبة في الدفاع عن البلاد، ويفسر في ضوء هذه الهبة السريعة والموحدة، والنجدة العاجلة.

ويؤكد ما نذهب إليه صاحب المفاكهة بقوله منتقداً سياسة المولى عبد العزيز :

«ثم أن صاحب الرباط ما كفاه ما كان يوجهه من المؤونة والذخيرة للجيش الاحتلال من طنجة وغيرها، لتقويته على إخواننا المسلمين، حتى جهز لهم جيشا عرمرما⁽⁸⁶⁾ يشن عليهم الغارة من جهة، والعدو الكافر من جهة، مع أنه لا موجب لما ذكر من محاربة الشاوية، حيث إنهم قاموا للذب على بلادهم ونصرة دين آبائهم وأسلافهم، فكان ينبغي له أن يتنافس في إعانتهم، ويذل القليل والكثير من جهده في نيل نصرتهم»⁽⁸⁷⁾.

ويقول محمد خير فارس عن دخول الشاوية للمعركة ضد الفرنسيين في اليوم الاول للانتفاضة : «وكانت قبائل الشاوية قد هبت كلا لإلقاء الفرنسيين في البحر وتحرير المدينة»⁽⁸⁸⁾.

والحق أن ما رافق هذه الاحداث من أعمال السلب والسرقة ليس جديداً، فالتاريخ يشهد أن كل المعارك الحربية، عبر التاريخ، لا تخلو من أعمال الشغب والسلب والقتل الفوضوى واختلال الانضباط. وغالبا ما تكون العناصر النشيطة في مثل هذه الاعمال غير المسؤولة، تحيا على هامش الحياة، مظلومة اجتماعيا، مقموعة سياسيا، مكبوتة نفسيا، فتتيح لها الفتنة الفرصة للانتقام وتحقيق الذات وإشباع الشهوات، فتنتطلق بكل ما ترسب في أعماقها من حقد وكره وعجز، متجاوزة كل الحدود⁽⁸⁹⁾.

وقد كان أول أعمال السلطان المولى عبد الحفيظ، بعد مبايعته في مراكش، إرسال قوة عسكرية إلى الشاوية، نزلت بقصبة مديونة على بعد 20 كلم من الدار البيضاء⁽⁹⁰⁾ وبعث رسائل إلى بعض الدول يستنكر فيها احتلال فرنسا للدار البيضاء، ويدعوها إلى مساعدته من أجل إجلاء المحتلين عن المدينة⁽⁹⁰⁾.

فهل يعقل أن يؤيد سلطان جديد، وهو لا يزال في مرحلة الدعاية لسياسته خارجيا وداخليا، حركة فوضوية كل همها السلب والنهب والشغب؟!.

ونتيجة لتظافر جهود الدولتين الاستعماريتين العدوتين التقليديتين للمغرب : فرنسا واسبانيا، ولتآمر الدول الاستعمارية الغربية بالصمت والتأييد، ونتيجة لضعف المخزن وتردي هياكله، ونتيجة لتمزق القبائل المغربية بين فتن داخلية مشبوهة وحروب قبلية مدسوسة، ونتيجة لانعزال انتفاضة الشاوية عن السياسة الخارجية ضربت الانتفاضة في مهدها بضراوة وجندت كل وسائل الإعلام الغربية لتشويهها ونعتها بأرذل النعوت، وإفراغها من مغازيها الوطنية الاصيلة.

نتائجها السلبية :

لم يكف المحتل ما أحرزه في واقعة الدار البيضاء من نصر عسكري، وما حققه من مطامعه الاستعمارية التي لم يف بها ميثاق الجزيرة الخضراء، وخاصة تنظيم بوليس أروبي من الفرنسيين والاسبانيين في الدار البيضاء بحجة أن عدد جنود البوليس المغربي الذي حددته الميثاق بـ 2500 جندي موزعين على 8 موانئ مغربية غير كاف، وغير مجد(91). مما هيا لها الظروف الملائمة لتطويق المعارضة الشعبية في أسرع وقت، واحتلال الثغر البيضاوي، وضمان إنزال قوات متتالية، ومعدات وذخائر حربية، واتخاذ الدار البيضاء منفذا للتوسع في أراضي الشاوية ثم بقية الأراضي المغربية، بل طمع أيضا في الكسب المالي والسياسي، بإحكام القبضة على مالية الدولة وهز أركان سلطة المخزن.

— فما أن خمدت نيران المعركة، حتى هب المحميون، بإيعاز من فرنسا بدون شك، يطالبون بتعويضات مبالغ في تقديرها، وبلغت دعاويهم 3506 دعوى، وبلغت قيمة ما ادعوه (26.478.366 فرنكا و17 سنتيما)، لكن اللجنة المشكلة لحل هذه الدعاوى والمكونة من مولاي الامين رئيسا وناصر غنام والصدقي أحرسان معتمدين والحسن الغسال كاتباً، ومن معتمدي فرنسا واسبانيا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا والبرتغال، حكمت بتعويض 13.069.642 فرنكا و57 سنتيما، فقط !!.

اضافة إلى دعاوى التعويض لما احتله الجنود الفرنسيون والاسبانيون وعددها 61 دعوى وقيمتها 195.710 فرنكا و85 سنتيما، مما زاد في إضعاف ميزانية المغرب.

إذا كان الفرنسيون لم يتمكنوا من باشا مراکش عبد السلام الورزازي ليحاكموه ويعاقبوه ويتنقموا منه، وهذا من ضمن شروطهم للجلاء عن وجدة التي احتلوها إثر مقتل الدكتور «موشان»، فإنهم تمكنوا من قائد الدار البيضاء بويكر بن بوزيد فاعتقلوه، بأمر الجنرال «درود» قائد الأسطول الفرنسي، أياما في مركب حربي ثم وجهوه إلى وهران، واتوا به بعد ذلك إلى طنجة، ووضعوه في المركب المسمى (جان دارك) المرباط بها، وسجنوه لسنوات على ظهر الباخرة (غليلي) قبل إطلاق سراحه (93).

وكان سبق لفرنسا في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن أن تدخلت في شؤون الإدارة المغربية سنة 1280 هـ، وطالبت بعزل عبد القادر أشعاش قائد تطوان وسجنه، لما كان بينه وبين فرنسا من خلاف، إلى درجة أن فرنسا هددت بقطع علاقاتها مع المغرب إن لم يستجيب لطلبها (94).

نتائجها الإيجابية :

بالرغم من هذه السلبيات، كانت لانتفاضة الشاوية إيجابيات ذكرنا بعضها متفرقا خلال البحث، ونخص منها بالذكر هنا تعجيلها بسقوط نظام السلطان عبد العزيز المتدري، وقيام أخيه المولى عبد الحفيظ المتحمس، بمراكش في 16 غشت 1907 بإجماع العلماء وحماسة العامة «وتحت إشراف الشيخ ماء العينين الذي رأى أن صديقه عبد العزيز قصر في حق الدفاع عن مورتانيا» (95) وبشروط سيمليها عليه علماء فاس، بعد شهر، منها :

«أولا : أن يعمل جهده في استرجاع الجهات المقتطعة من الحدود المغربية.

ثانيا : أن يبادر بطرد الجنس المحتل من الأماكن التي احتلها» (96).

وهكذا أعطى هذا الانقلاب للدولة نفسا جديدا، ومنح المغرب أمدا في ظل الاستقلال والحرية والوحدة.

ونذكر منها إلهابها الحماس الشعبي في أبرز معاقل المقاومة الشعبية التقليدية، وإخراجها للمقاومة من الإقليمية الضيقة، ومن الطرق التقليدية والعفوية في الدفاع عن الأرض، إلى آفاق أرحب من التأزر الوطني، وإلى نوع من التكتل

الشعبي المعتمد على التنظيم المحكم الذي ينضوي تحت لوائه العالم والطالب والبدوي والحضري والفلاح والعامل والرجل والمرأة⁽⁹⁷⁾.

فقد أرسل الشيخ محمد الكتاني رسائل إلى المجاهدين قبائل الشاوية، مباركا حركتهم الجهادية، مهنتا لهم على شجاعتهم في الدفاع عن الوطن والاسلام، حاثا لهم على الصمود والصبر، مستشهدا على شرعية كفاحهم بنصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف⁽⁹⁸⁾.

وبعث رسائل أخرى إلى القبائل المغربية محرضا لها على الجهاد إلى جانب قبائل الشاوية في مقاومتها للمستعمر الفرنسي، داعيا لها إلى بذل العون والمساعدة للمجاهدين⁽⁹⁹⁾.

وذكر المرحوم عبد القادر الصحراوي أن شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي، ورفيقه عبد السلام السريغيني، في سنة 1908 «غادرا فاسا يقصدان موحا وحمو الزياتي الذي كان يريد أن يذهب إلى الشاوية ليقف في وجه الزحف العسكري الاستعماري... بجيش المقاومة الشعبي»⁽¹⁰⁰⁾.

وقصدت عدة قبائل مغربية بعيدة عن المنطقة الملتبهة، مدينة الدار البيضاء لمساعدة القبائل المجابهة للعدو مثل قبائل تادلة⁽¹⁰¹⁾. وهب ماء العينين في الصحراء للدفاع عن الثغر البيضاوي⁽¹⁰²⁾، وقاد ابنه أحمد الهبية، من بعده المعارك ضد المحتلين لاجراهم من الشاوية^(102م) وأظهر بعض رجالات سوس تحفزا لملاقاة العدو، ورغبة في الجهاد ضد الكفار المعتدين⁽¹⁰³⁾.

وحتى القوات المغربية المسيطرة على هضبة تادلة، كانت «تنزل إلى المراكز الأمامية الفرنسية في الشاوية، أي في قلب المنطقة المحتلة وتشن عليها غارات مفاجئة»⁽¹⁰⁴⁾.

ومن إيجابياتها أيضا أنها كانت ناقوس خطر مبكر نبه المغاربة المتناحرين في جروب أهلية لا تكاد تنتهي حتى تبتدىء، إلى ما يريده المستعمر الغربى العاشم بوطنهم.

يقول الرحالة والطبيب الانجليزي آرثر ليرد : «ولكن الذي أيقظ المدينة، وأيقظ معها المغرب كله، هو طلقات مدافع الأسطول الفرنسي 1907 التي كادت تحولها إلى حطام من حجارة وجنون»⁽¹⁰⁵⁾.

ومن إيجابياتها كذلك، استثارته للروح الدينية والقومية، وبلورتها في موقف تضامني عربي اسلامي رددت أصداؤه بعض الصحف المصرية، خاصة جريدة مصطفى كامل (اللواء)، التي تتبع دفاع الشاوية المستميت باهتمام خاص، وأبرزت بطولاتهم، وأشادت بإخلاصهم للدين والوطن. ونددت بالغزو الاستعماري الوحشي المبيت لبلد مستقل مسلم لا ذنب لأهله إلا غيرتهم على دينهم وحبهم لوطنهم.

وما جاء في العدد 2423 — 1907/8/24، تحت عنوان (الدار الفانية)⁽¹⁰⁶⁾:

«إن الانسانية ترتجف جزعاً من هول المذابح الجارية في المغرب الأقصى، ولقد دعونا الدار البيضاء بالدار الفانية؛ لأنه قد رُفِرَ عليها الموت من كل جانب، وفني فيها كل شيء إلا وجه المدافع، وإن القلوب لتنفطر أسى وحرزاً من كون المتمدنين لم يعرفوا — الآن — طريقة تمدين الناس — على ما يزعمون — إلا تسليط القنابل عليهم تحصدهم حصداً، وتنسف منازلهم نفساً، وأن لا يجد إنسان هذا الزمان لغة ليخاطب بها أخاه الإنسان، الا زججة المدافع، وزفير النيران..»

ولقد كان البدوي في البادية يلتقي بعدوه الألد، وله عنده ثارات، فيأنف أن يأخذه على غرة منه أو يحاربه بسلاح ليس عنده مثله، وكذلك قوانين المتمدنين، تلمس ظروفاً مخففة للمجرمين الذين لم يقدرُوا الجريمة قدرها، ولا أدركوا مبلغ مسؤوليتها.

هؤلاء القبائل من المراكشيين، لم يشتركوا — جميعاً — في (جريمة الاعتداء) على الثمانية الفرنسيين، ثم هم لا يقدرُون العواقب قدرها، ولا يدركون الخطر الذي يصيبهم من التعرض للبوراج الحربية وقنابلها، وإنما هم قوم وقر في أنفسهم أن الفرنسيين يريدون الاستيلاء على بلادهم، (فتات؟! الأنفة في رؤوسهم، فالرحمة واجبة على فرنسا المتمدنة.»

ولولا سوء تدبير بعض المسؤولين المخزنيين، وخيانة بعض العناصر المغربية من يهود ومسلمين، بالإضافة إلى عدم اعتراض المانيا⁽¹⁰⁷⁾، وهذا موقف غريب منها، وهي التي ظلت تشكل عقبة كأداء تحول بين فرنسا وبين احتلال المغرب من سنة 1905 حتى سنة 1911. ولولا التآمر الدولي على استقلال المغرب ووحدته، بالاتفاقيات السرية، وتوزيع الغنائم، لما سقط ذلك الثغر المنيع بمثل تلك السهولة.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أ — الكتب :

(أ)

1) الإتحاف : عبد الرحمن بن زيدان، الرباط، المطبعة الوطنية، ط 1 / 1347 — 1929، الجزء الأول.

2) أزمة المغرب الأقصى : روم لاندو، ترجمة : اسماعيل علي وحسين الحوت، سلسلة الألف كتاب (328)، القاهرة، مؤسسة طباعة الألوان المتحدة، مكتبة الأنجلو المصرية ط 1 / 1961، الجزء الأول.

3) أعلام المغرب العربي : عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط 1 / 1398 — 1978 الجزء الأول.

(ب)

4) تاريخ تطوان : محمد داود، تطوان، المطبعة المهدية، ط 1384 / 1964، الجزء 16.

5) تاريخ المغرب : محمد بن عهود، الدار البيضاء، دار الكتاب، ط 3 / 1963.

6) تنظيم الحماية في المغرب (1912 — 1939) : محمد خير فارس (دمشق) ط 1972/.

(ج)

7) جولات في مغرب أمس (1872) : آرثر ليد، ترجمة (؟) عبد المجيد بن جلون، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1 / 1974.

8) الحركات الاستقلالية في المغرب العربي : علال الفاسي، تطوان، دار الطباعة المغربية (د.ت).

9) حرب الريف التحريرية : الحاج أحمد البوعياشي، طنجة، دار أمل، ط 1395 / 1975 الجزء الثاني.

(ش)

10) شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي : عبد القادر الصحراري، الدار البيضاء، مطبعة دار النشر المغربية 1965.

(ف)

11) فواصل الجمال في أنباء وزراء وكتاب الزمان : محمد غريط، فاس، المطبعة الجديدة ط 1347/ — 1927.

12) فلسفة الكفاح العربي نحو الوحدة والتحرر : عبد القادر البنداري، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1 / 1960.

(ق)

13) الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى : أحمد بن خالد الناصري، تحقيق ولديه جعفر ومحمد، الدار البيضاء، دار الكتاب 1956، الجزء 9.

(م)

14) مختصر تاريخ تطوان : محمد داود، تطوان، المطبعة المهدية، ط 2 / 1375 — 1955 الجزء 1 و 2.

15) مذكرات حياة وجهاد : (التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية) محمد حسن الوزاني، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1 / 1397 — 1982 الجزء الأول.

16) المسألة المغربية (1900 — 1912) : محمد خير فارس، بيروت، مكتبة دار الشرق ط2 / 1980.

17) المعسول : محمد المختار السوسي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح 1380 / 1960، الجزء الأول.

18) مفاكهة ذوي النبل والاجادة، حضرة مدير جريدة السعادة : عبد الحفي الكتاني، فاس، المطبعة الحجرية، 1326 — 1908

(19) مقدمة ابن خلدون : دار البيان (د.م) (د.ت).
(هـ)

(20) هذه مراکش : عبد المجيد بن جلون، القاهرة، مطبعة الرسالة ط1 / 1949.

(21) Histoire de Casablanca des origines à 1914 : André Adam, publications des annales de la Faculté des lettres Aix-en-provence, nouvelle serie N°66/1968, Ed.

Ophrys.

ب — الخرائط :

(22) السعادة، ع 1/131 — 18 — 4 — 1907.

(23) السعادة، ع 1/132 — 2، 1 — 4 — 1907.

(24) السعادة، ع 1/146 — 1 — 8 — 1907.

ج — المجلات :

(25) الأنوار : ع 27 / 15.14 يناير، فبراير 1952 (واقعة الدار البيضاء : محمد راغون).

(26) ع 28 / 13 وما بعدها — مارس، أبريل 1952 (احتلال الدار البيضاء : شاهد عيان).

(27) حوليات كلية الآداب، الدار البيضاء 2 / 43 — 59. 1985

الطابع الاسلامي للوطنية المغربية : محمد المنوني.

ملاحظة : الرقم الاول يحيل على الرقم الترتيبي للمرجع في لائحة المصادر والمراجع، والثاني على الصفحات.

- 1) الأسباب الظاهرة : عبارة استعملها «شاهد عيان» وجعل ضمنها بناء مرفأ من طرف «الشركة المغربية»، وما تطلبه من اقتحام مقبرة ونش قبورها، ومن مد للسكة الحديدية، وإصدار المخزن لأمره بجلوس المراقبين مع الانشاء في الجمارك المغربية 13/26.
- 2) لم يذكر محمد غريط اسبابا معينة لواقعة الدار البيضاء، لكنه ألمح إلى ما يفهم منه أن ألمانيا كانت وراءها، كما كانت وراء مقتل الطبيب موشان. يقول بأن ما وقع كان : «بتدبير من كانت له في ذلك مقاصد، ولمواقيت إلقاء الشر مراصد» 101/11.
- 3) 13/26.
- 4) 14/25.
- 5) 104/5. ويقول أندري آدم «إن القاطرة البخارية الصغيرة الجارة وراءها عربات الشحن، هذه الاداة الهادئة، هي التي عجلت بالمأساة». 105/21.
- 6) 361/16.
- 7) 13/26.
- 8) هذا رأي السلطان عبد العزيز. يرجع إلى الظهير الذي وجهه إلى عبد الرحمن بركاش باشا الرباط. 426/1. ورأي نائبه بطنجة محمد الطريس 362/16، ووردت الإشارة إلى هذا السبب من جملة أسباب في 14/25 و 13/26.
- وتجدر الإشارة إلى أن المغرب كان قد عقد أول قرض أجنبي من فرنسا سنة 1902 لمقاومة ثورة «بوحمارة»، ثم تلاه قرضان سنة 1903 من بريطانيا واسبانيا، وقرض سنة 1904 من فرنسا. 65/20.
- 9) من ظهير السلطان عبد العزيز المشار إليه في هامش 8.
- 10) 360/16.
- 11) نفسه 361.
- 12) نفسه 360. وقد اتهم الفرنسيون «بويكر بن بوزيد» بنصب كمين للقوات المنزلة في الإنزال الأول 129/21. وذكر ابن زيدان أن «بويكر بن بوزيد» أوعز إلى حراس الصقالة بمجرى الدار البيضاء بضرب الدارعة الحربية الفرنسية في حالة بدئها بالقصف 424/1.
- 13) 367/16.

14) تختلف المراجع المعتمدة في تحديد وظيفة «بويكر بن بوزيد» فابن زيدان يجعله عامل الدار البيضاء، ومحمد خير فارس يجعله حاكمها، وأندريه آدم يجعله قائدها، والبقية تجعله باشاها.

15) 361/16.

16) 122/21.

17) 144/16.

18) نهب المتظاهرون في 3 غشت 1907 ضيعة (سودان) على بعد كيلو مترين من أسوار الدار البيضاء 114/21.

19) في فاتح أو ثاني غشت 1907 عكس المتظاهرون صلبان المقبرة الأروبية 114/21.

20) 11/2.

21) 360/16.

22) 108/21.

23) نفسه 108. 109.

24) نفسه 109.

25) 47. 46/18.

26) 388، 387/1 و 84/11 — 87.

27) 14 ج 222، 221، 220/2.

28) 453 — 448/1.

29) نفسه 424.

30) 360/16.

31) لمعرفة كل ما يتعلق بمشروع بناء ميناء الدار البيضاء، الذي شرع في إنجازه يوم

1907/5/2. يرجع إلى 105/21.

32) 360/16.

33) نفسه/363، 364.

34) 303/3.

35) 107/21.

36) 14/6.

37) 347/16. وينظر ما قبلها ابتداءً من : 298.

38) 107/21.

39) 361. 360/16.

40) 14/6.

41) في نهاية سنة 1904 قررت الحكومة الفرنسية انشاء مستوصفات في المغرب، وفتحت أولها بالدار البيضاء والجديدة والصويرة في أوائل سنة 1905، ثم في العرائش والرباط وأسفي،

- وفي خريف نفس السنة فتحت مستوصفين في فاس ومراكش 107/21 هامش.
- (42) يروى أندريه آدم أن موشان أقام بسطح بيته عمودا لشد حبل الغسيل، فظنه العامة والمخزن مقدما على وضع تلغراف لاسلكي. 107/21.
- (43) على خلاف المراجع المعتمدة في هذا العنصر، يرى محمد غريظ أن سبب اغتيال موشان «وقتة مراكش سياسي واجتماعي وهو حاجة مجموعة من الشباب إلى المال، ونشاط الرواد الألمان. يقول : «إن طائفة من أهلها (مراكش) اغوهم الشياطين النازغة، وأغرهم الشبية والأكف الفارغة، بقتل طبيب فرنسي وجرحه، ونهب محل مباشرته وتجرحه، وشرأبوا إلى قتل غيره من النصارى، وإذاعة من تمنع منها تضيقا وحصارا. وأرادوا افغام المدينة حريا، وأن يصيروا على العصيان والفتنة حزبا». 102/11.
- (44) نقلا عن 354/16.
- (45) نفسه 352.
- (46) تنظر الشروط في 355، 354/16، ويرجع إليها في هوامش شرح زجلية «المرور البهية» في الملحق الثالث من هذا الكتيب.
- (47) 360/16.
- (48) نفسه 361.
- (49) نفسه، و110/21.
- (50) يرى محمد راغون أن المسؤول المخزني المعنى هو باشا الدار البيضاء «بويكر بن بوزيد»، لكن النص الذي سنورده بعيد قليل يجعلنا في حيرة من الأمر. 14/25.
- (51) 13/26، وما أشبه هذه الرواية بما رواه الناصري في حادثة ايسلي.
- ففي ليلة المعركة قابل رجلان من أعراب تلك المنطقة الحاجب الطيب بوعشرين، وأخبراه بأن العدو أتم استعدادده، وأنه سيصبحهم في الغد، وطلبا منه إعلام الأمير بذلك، فقال لهما : «إن الأمير الآن نائم، ولست بالذي أوقظه، ثم جاء عقب ذلك أربعة أناس آخرون يعلمون بأمر العدو، فكان سبيلهم سبيل الأولين». 51/13.
- (52) 14 ج 1/181.
- (53) 13/26.
- (54) 111/21.
- (55) 14/26.
- (56) اختلف المؤرخون في أسباب سقوط الضحايا، فمنهم من رأى أن المنتفضين قتلوا العمال الأجانب مثل : 101/11 و 14/25 و 13/26 و 112/21.
- ومنهم من رأى أن عمل المنتفضين انحصر في تخريب السكة الحديدية وتعطيل القطار، إلا أن ذلك أدى إلى موت بعض الأجانب، مثل 104/5 و 361/16.
- كما اختلفوا في تحديد عدد الضحايا، فإذا كان «شاهد عيان» يذكر السائق

وأعوانه، دون تحديد لعددهم، فإن بعض المراجع حددت الضحايا في (8) أشخاص، وأخرى جعلته (9) أشخاص وأخرى أضافت إلى القتل جريحين... واختلفوا كذلك في تحديد جنسيات الضحايا، فبعض المراجع اقتصر على ذكر الجنسية الفرنسية والاسبانية والاطالية، وبعضها أضاف البرتغال وجعل واحدا مجهول الجنسية. 14/25.

(57) لعلهما تابعتان لحلة مولاى الأمين، يستفاد ذلك من قول «شاهد عيان» بأنه حضرت لدار المخزن عند اجتماع الباشا بالقناصل وغيرهم «فرقة من عسكر مولاى الأمين» 13/26.

(58) 361/16.

(59) يقرأ الحوار الذي دار بينهما في 14/26.

(60) 1/24.

(61) 113/21.

(62) 363/16.

(63) 14/26.

(64) فاتح غشت 1907.

(65) 363/16.

(66) 115/21.

(67) كتب روبير دوكي في مجلة (لجنة افريقيا الفرنسية) : «لا يمكن اعتبار حادث الدار البيضاء

حادثا فاجعا، بل على العكس، إنه مناسبة لتوسيع وتعزيز مركز فرنسا الخاص» 363/16.

(68) يذكر محمد راغون أن مولاى الامين امتنع أول الأمر، فلما ألح عليه القنصل، أبدى رغبته في مساعدته في إنزال العسكر : «شرط أن ينزل في الصباح قبل أن تعمر المرسى، ووقع الاتفاق على ذلك» 14/25. تراجع موافقة مولاى الأمين أيضا في 120/21. 127.126.

(69) كان المسؤولون الفرنسيون يعللون هذا الانزال بضعف المخزن، وعدم كفاءة مثليه، وفوضى جنوده، وبالحقد المتزايد بين العامة ضد الأجانب، وتدهور الحالة الصحية للفرنسيين المتجنين بالباخرة البيطانية Demetian وبباخرتين بخاريتين أخريين 113/21. الراسيات بالقرب من ميناء الدار البيضاء. تنظر كذلك الصفحات 120. 121. 130 من نفس المرجع.

وقد أخطأ ميكري Maigret في تأويل رسالة وجهت إليه في شأن الإنزال، إذ أعطى موافقته على إنزال 66 جنديا من «غليلي» ظنا منه أن الأسطول الفرنسي سيصل صبيحة ذلك اليوم 122/21. 124. 127.

تراجع المراحل التي مرّت بها فكرة الإنزال، والصيغ التي أعطيت لها في 116/21

وما بعدها، كما تراجع تفاصيل الإنزال في نفس المرجع : 122 و 127 وما بعدها.

(70) لعله البدوى أو محمد. (فتحاً) ابن القلوبي 424/1.

- (71) اكتفى ابن زيدان بذكر الفرقة، ولم يحدد عددها، وحصر محمد خير فارس العدد في 10 بخارة فرنسيين. وذكر شاهد عيان أن عدد النازلين ينيف على الخمسين، وجعل محمد راغون العدد 50. أما أندريه آدم فحدد العدد في 66 جنديا.
- (72) لعله محمد الحياني المسفيوي الوارد في 424/1.
- (73) 131/21.
- (74) 424/1.
- (75) يروي أندريه آدم خلاف ذلك. 129/21.
- (76) 15/26.
- (77) كانت سلطة مولاي الأمين قد انتهت إلى الانحلال، وآخر الجنود الذين ظلوا مخلصين له، تغلوا عنه الواحد تلو الآخر، وما لبث أن طلب من القنصل الفرنسي اللجوء إلى البارجة الفرنسية 132/21.
- (78) أثر انتفاضة 30 يوليوز 1907 سارعت فرنسا إلى التدخل لمواجهة الأحداث والسيطرة على الموقف، فشحتت من وهران كتيبتين من الرماة الجزائريين من البليدة ومستغانم، وقرقة أجنبية من المشاة عدد رجالها 2400، وقليل من رماة المدافع و300 فارس...
- وبعثت اسبانيا — خوفا من أن يضيع الأمر من يدها — 500 رجل 118/21.
- ووصلت «دوشيلة» — باخرة حربية فرنسية — في يوم 1907/8/5 في الساعة 11 صباحا، وانزلت 75 جنديا، وفي نفس الوقت وصلت الدارعة الحربية الأسبانية (ألفارو دوباران) وأنزلت 20 رجلا 133/21.
- وحضرت يوم 1907/8/6 بعد الزوال، البارجة الحربية الفرنسية (فوربان) وأنزلت 44 جنديا ووصل الأسطول الفرنسي يوم 7 غشت 1907 132/21.
- (79) 420.419/1.
- (80) نفسه 428 و447.
- (80) مكرر : 11/101.
- (81) 15/25.
- (82) 15/26.
- (83) 15/26.
- (84) 132/21، 134.
- (85) 125/19.
- (86) لعله يقصد محلة مولاي الأمين.
- (87) 46/18 وأشار إلى هذه الحقيقة التاريخية الرجال عبد الهادي بناني بقوله : «نوض السلطان يعينو وشاع لخبار» الملحق الأدبي الرابع. وتضمنها السؤال الذي وجهه نواب فاس إلى العلماء عن شرعية عزل السلطان عبد العزيز وجواب العلماء، وثيقة إدانة أعيان فاس للسلطان عبد العزيز وثيقة عزله (مذكرات حياة وجهاد 1/61 وما بعدها)

- (88) 367/16، وتُنظر ترجمة رسالة موجهة بتاريخ 20 جمادى الثانية 1325 موافق 1907/7/31 من أعيان قبيلة الشاوية إلى قبيلة أولاد حريز، لاستدعائها إلى اجتماع كبير يوم الاثنين 5 غشت، لعقد تحالف بين سائر قبائل الشاوية 115/21 هامش.
- (89) تراجع بعض تلك الأعمال في 429، 428/1.
- (90) 371/16.
- (90) مكرر : يرجع إلى الوثائق التاريخية الملحقه بالكتاب، الوثيقة 1.
- (91) نفسه : 366، 365.
- (92) 120/21.
- (93) 431/1، ويرجع كذلك إلى 18/26 و 129/21.
- (94) 88/4 وما بعدها. و 14 ج 205، 204/2.
- (95) 95/8.
- (96) 448/1 — 453.
- (97) حكى لي الأستاذ مصطفى العمري الأزموري أن أحد أقاربه المسنين، ذكر له أن جدته — والدة أبيه الشيخ أبي شعيب الأزموري — المشهورة بالفرجية، كانت تأخذ مكانها في حراسة أسوار المدينة، حاملة بندقيتها إلى جانب والدها.
- (98) يرجع إلى رسالته إلى مجاهدي الشاوية في الملحق 1 من هذا الكتيب.
- (99) يرجع إلى رسالتيه في هذا الصدد في الملحق 2 من هذا الكتيب.
- (100) 19، 18/10.
- (101) 134/21.
- (102) 419/15. ويقول محمد حسن الوزاني بهذه المناسبة : « ما كاد يسمع بنزول الغزاة الفرنسيين في الدار البيضاء، حتى هب على رأس ثلاثمائة من صناديد الرجال في الصحراء، نوادي الذهب، فاتجه لقتال المحتلين الذين كبدهم (الرجال الزرق) خسائر جسيمة في الأرواح، لا فرق بين الفرنسيين والأوروبيين، وقد ترك (المثمون) وماء العينين في مراكش من الأثر ما أدخل الرعب على كبار القواد هناك أمثال الكلاوي والمتوكي.
- وفي فاس كانت زيارة ماء العينين للسلطان عبد العزيز فرصة لظهور التأيد له ضد المحتلين. وقد أصدر السلطان أمره إلى جميع عماله لملاقاة الشيخ البركة بكل ما يستحقه من ترحيب وتكريم، تقديرا لمقامه، واعترافا بجهاده في سبيل الله والوطن» نفسه 418.
- وقبل هذا استأذن ماء العينين المخزن في إعلان الجهاد والهجوم على القوات الفرنسية بوجدة. 1/23. 2.
- (102) مكرر: 415/15.

103/17/301 وما بعدها. ويستحسن الرجوع إلى قصيدة الطاهر الأيفراني (ملحق 4) التي
تعكس بصدق وحرارة صدى أحداث الدار البيضاء واحتلال الشاوية في سوس، وموقف
المثقفين المغاربة في ذلك الوقت من تلك القضية الوطنية.
كما يستحسن الرجوع إلى (المفاكهة) لاستطلاع موقف أحد كبار علماء فاس في
ذلك الحين، عبد الحي الكتاني (الوثيقة 1).

104/12/111.

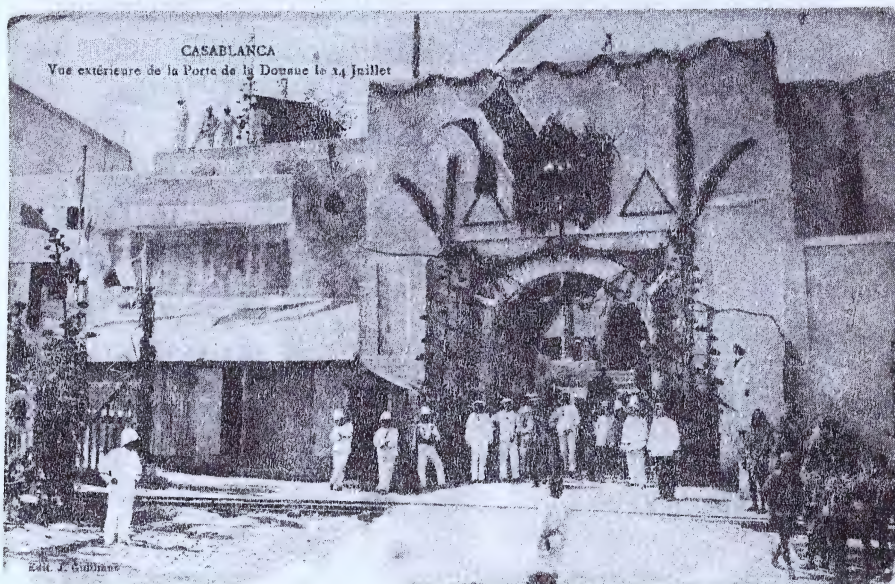
105/7/39.

106) نقلا عن 27/55.

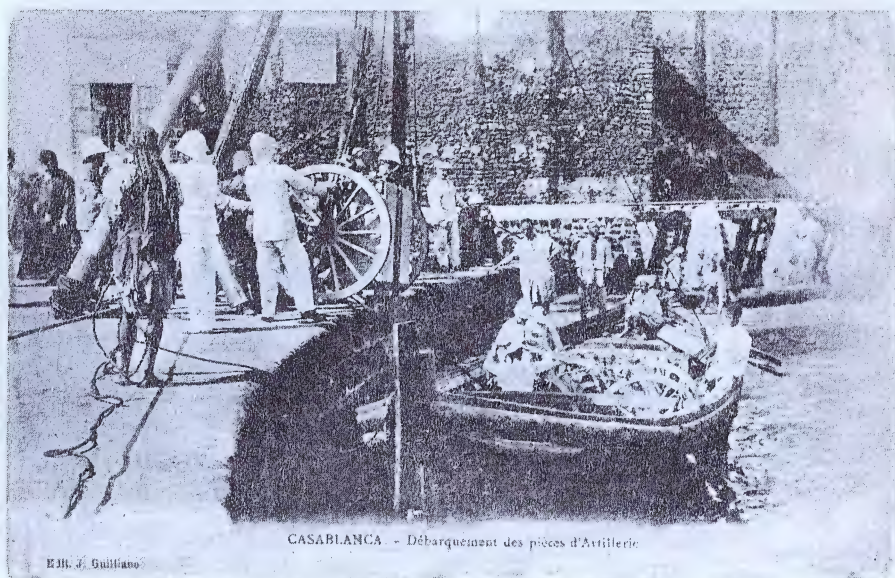
107) 16/364،363.



إنزال القوات الفرنسية



باب البحرية بحي سيدي بوسارة، إحدى أبواب البيضاء الثلاثة



إنزال المعدات العسكرية الفرنسية

2 — وثائق تاريخية

رسالة للمولى عبد الحفيظ

هذا النص رسالة وجهها المولى عبد الحفيظ بعد مبايعته في مراكش، الى بعض الدول بتاريخ 19 ذي الحجة سنة 1325 / فاتح يناير 1908. ورغم أن محورها الاساس هو موقف السلطان الجديد وموقف مبايعيه من نتائج مؤتمر الجزيرة الخضراء، فإنه ضمنها احتجاجه ضد احتلال الفرنسيين للدار البيضاء، ومطالبته الدول بالضغط على فرنسا لتجلب جيوشها عنها، وإخبارها بإقدامه على إعلان الجهاد دفاعا عن الوطن. وقد قدم عبد الله الجراري النص بقوله :

«بوع السلطان المولى عبد الحفيظ في التاريخ المذكور (1325 — 1907)، وبعد مناورات ومداورات من الاستعمار الاجنبي على اختلاف أجناسه فرنسيين، وانجليز، وألمان، واسبان، كان يحوكها سياسيا واقتصاديا وعسكريا تطلعا منه إلى الاستيلاء على المغرب واحتلال ترابه، شيء وجد العاهل الحفيظي نفسه منه في حرج وضيق عن تسيير دولب الولاية ملقيا ثقل ذلك وعبأه على سلفه المخلوع، خاصة ما جرى في مؤتمر الجزيرة : (7 أبريل 1906) نراه — رحمه الله — يبعث الرسالة التالية المؤرخة في 19 حجة 1325 هـ (1) :

وعلق عليه بقوله :

والرسالة في ملامحها وأبعادها تهدف ما كان العاهل يقدره ويتحمله من مسؤوليات نحو وطنه وشعبه في عزة وإباء وقتا كانت العراقيل تنصب أمام مسيرته داخلا وخارجا مما كانت النهاية فيه للدربة والنظام المصطبغين بصبغة الاغاثة والانقاذ، وهنا تجيء الكلمة المؤمنة : أريد وتريد ولا يكون إلا ما يريد.

شذرات تاريخية، من 1900 إلى 1950 عبد الله الجراري ص : 20، 21، 22، 23

» الحمد لله نسخة من كتاب لبعض الدول.

نص المقصود منه، وبعد فغير خاف على دولتكم الفخيمة أننا ولينا السلطنة التي ورثناها عن الآباء والاجداد، الملوك الاعاظم الانجاد الامجاد، وأن ولايتنا هذه لم تكن عن طلب منا، وإنما هي من أمور ديانتنا، وعليها مدار معاملتنا الداخلية والخارجية حسبما أنتم تعلمون ذلك، ولنزدكم الآن تحقيقا وتبيننا وهو أن من أمور الديانة التي يعتنى بها ملاحظة السلطان العادل في رعيته العاقل الذكي الفطن النبیه الذي لا يغتر بحيلة، و لا يدخل على محاكمة مذلة، و لا يستبد في الامور برأيه، و لا يجحد عن مشاورة علمائنا ورؤسائنا في كل حادثة مهمة ملمة، فإن هم أشاروا عليه بأمر استعملها، وإلا تركها، وبعد استناده على واحد منهم فلا يدخل فيه بعدد سببه كمن خلعه الشرع الشريف عندنا لشؤون المدا (كذا) ذلت الاغترارية التي وقعت بينه وبين وزارته ووزارة فرنسا، وأشرأت نفس فرنسا للاستيلاء على بلاد المغرب الاقصى الصعبة المرتقى، وكيف لا تعرفون ذلك وفي صك المؤتمر ما يشهد بحماقة الاناس المغاربة الذين وجهوا بدون إذن من علمائنا، و لا من رعايانا، وإنما وجهوا لتلك المكيدة بتخصيصهم فكأنني أشاهد رؤساءكم وعقلاءكم على تلك الكراسي التبريزية يسخرون من الموجه والموجهين ويحكمون على الصك بالتمزيق حالا، والذي ينبئنا عن ذلك هو بعض التصريحات الرسمية في معظم الجرائد الاوربية حتى من فرنسا عند إبداء الحق في المسألة المتكلم فيها حالة المؤامرة، وبعد مجيء نوابكم العقلاء لذلك المؤتمر من السياحات التي يسيحونها لاكتساب مصالح خصوصية، لأن هذا المؤتمر لم تأت فيه مصلحة لنا خصوصا ولكم عموما.

أجل احتوى على أمر البوليس والبوليس لو طلبته منا الدول لنظمناه منا على حسب ما هو منظم في أوروبا وتكون ضباطه من المغاربة الذين لهم خبرة بذلك، وهب أنهم لم يوجدوا فيتعلمون حالا لانه أمر يتوقف على قوانين يعلمها كل ملتمس لها، فلاى شيء يتداخل الفرنسيين إلا أن يكون مجاورا لنا فمجاورته لا تمكنه من التداخل معنا، ألا ترون إلى الاتحادات الواقعة بين الجميع من حيثية الاستيطانة، أهل أوجبت لهم التداخل في أقل من هذا ؟ لا والحكم في الديانة عندنا لا يتداخل أجنبي في شيء من الامور الداخلية والخارجية إلا بمقتضى

المعاهدات. وذلك أخذا بالحزم، وتمسكا بالضبط كما هي عادتكم، أهل رأيكم أجنبا مع تركيا تستخدمه دولتها تتخذها معها في الامور الخزنية وخصوصا على سبيل التعت مع أنها كثيرة الجوار ولها من التنظيمات ما لا يوجد عند غيرها، وبعض الدول وخصوصا المتحدنين بها ؟

واحتوى أيضا على مسألة البنك، والبنك أعظم محرم عندنا والشرع لا يوافقنا عليه زيادة على ما فيه من الاضرار بماليتنا.

واحتوى أيضا على عدم إدخال المواد النارية لبلاد المغرب إلا للمخزن بشروط يستفاد منها التحجير، ونحن لنا الحرية والاستقلال من قديم، إلى غير ذلك من الامور التي يطول شرحها وتؤذن بشهوات فرنسا في المغرب، وهي تقول أنها تأخذ به باقي الدول (كذا) وتدخلهم تحت أمرها ونهبها (لابلغت منها) وحاشا الدول أن ترضى بذلك و لا أن تسمح بإمضاء شيء من أمور المؤتمر المذكور، وطلبنا هذا لم يكن من قبل الاستهزاء بخواتم نوابكم العقلاء لأن وضع الختم لم يكن عن طلب حقيقي وإنما أنتم على سبيل الموافقة لمن وجه من قبل أخيئنا المخلوع الذين وجههم بدون موافقة و لا مفاوضة مع جميع الرعية، والا لو علمت دولكم الفخيمة أن تلك المجالس تنفض على هذا المنوال الركيك لم توجهكم لأن هذا المجلس الخالي من العقول السليمة التي تنافح عن مصالح بلادها، لا تدخله نواب الدول العظام، وذلك لما لهم من المحبة التامة والشهادة للمغرب ورجاله بالاستقلال على أنه في ذلك المجلس اختار الفرنسيين لجميع الدول الفخام، والدليل على ذلك هو جعله لهم مقاصد يشار بها الآن نحو فرنسا، ومع ما قرر ففرنسا لم تزل حتى الآن معترفة بصك المؤتمر، وتقول إن احتلالها بالدار البيضاء من التسهيلات الإصلاحية، والحالة أنها فسادية، وتصرح زورا أن ذلك عن إذن من الدول، وهم يعلمون أن من الاسباب المهيجة للفتن بالمغرب المحاربة والتدخل الفرنسي وحتي لو سئل جميع الرعايا الدولية بالمغرب وأنصفوا بسبب عدم إقامتهم على الراحة والامن كما كان ذلك سابقا لقالوا المداخلة الفرنسية على سبيل التعصب الديني فليكن ذلك من الادلة على أن فرنسا تتعاطى الاسباب العدائية بدون بحث عن حقائق الامور، فاحتلالها باطل فاسد، فلم لم يقتلوا(2) ان كان من التعصب دينيا وإنما قتل الطالانيون والاسبانيون باضافتهم للفرنسيين والسبب هو الاغترار بأنفسهم والاتيان بغير المألوف، وقتل موشان لجعله العلامة التونسية على دكانه بغير إذن، وهي لا

تلزم لطبيب ومع وجود هذه العلل المقبولة فالمسألة جنائية ترجع لمقتضى القوانين الجنائية في أوروبا، فكم من أجنبي قتل في أصقاع أخرى، أهل كانت تحتل بهم البلدان؟ وحاصله أن فرنسا قد وقفت موقف الفضول دون جميع الدول الفخام، وعلى فرض قبول المخلوع العقود الاتمارية فأني لا يلزمني قبولها، وإنما يلزمني حق الدول وهي المحافظة عليهم بعساكري وضباطي الوطنيين حفظا كحفظ رعيتي على حسب القوانين المحرة، على أنه لم يرد في المؤتمر شرط الالتزام بذلك العقد لكل فرد ملك المغرب، وتلك العقود هي التي أوجبت وقوع الفتن في المعمور، وشفقة على المغرب واعترافا بفضله، وقد بويعت للقيام بحقوق الوطن والسكان والتكلم على الوقائع وما بقي من المراسي التجارية على لما ترد بيعتهم ان شاء الله فالمراد به رفع الشكوى إليكم بكف هذا المتجرىء حتى تقع معه المحاكمة إن شاء الله على شرط أن يحمل عساكره، والمقصود الأهم هو إحياء الازدة القديمة بينكم وبين أسلافنا قدسهم الله، وإننا على قديم محبتكم لا نريد وإعلامكم بهذا الذي تقدم حتى لا تكون مخابراتكم الرسمية مع غبرنا، فإن المخابرة مع الغير لا تقبل لما قرر وسطر آنفا، وإن مبايعتنا هذه لعدم توفر الشروط المطلوبة في أحننا وبذلك خلع، فالواجب على الدول الفخيمة عدم المداخلة في أمور ديانتنا فضلا ونحن لا نداخل معهم في ديانتهم، وقد استفزنا الناس للجهاد لما رأينا تفاحش قوة الفرنسيين إذ لربما يكثر عيثه و لا نلام على ذلك إذ الواجب ضربه، و لا يعد ذلك حربا وإنما يعد مدافعة عن الوطن، وإلا فأنا القائم بأمر الشاوية ولي الشأن الفيصم اجابته، وللحرب شروط تعلمونها منها : تعيين الاجل، وحد محل المعاركات إلى غير ذلك، ونع اقتدارنا على ذلك فنحن لا نريد إلا مسالمة جميعكم محافظة على شروط أسلافنا القديمة.

ونحن على خالص الحبة والوداد الذي لا ينقضي إن شاء الله وختم في 19 حجة عام 1325 «.

- (1) نقلها الكاتب من كناش الفقيه القاضي المرحوم السيد أحمد بناني الرباطي بواسطة ابنه الأديب السيد بوبكر، رقم 401.
- (2) لعله وقع هنا حذف.

نص من المفاكهة

محمد عبد الحى الكتاني

1972/ 1888 — 1482/ 1400

عرف صاحب النص بعلمه الواسع في الحديث، ومعرفته الدقيقة برجاله، وبنشأته في بيت اشتهر بوجاهته وسعة نفوذه في سائر المناطق المغربية، وتتبعه المتيقظ لما يجري في داخل المغرب وخارجه، بل وبمشاركته في توجيه الاحداث السياسية الكبرى التي عاشها المغرب في العقد الاول من القرن العشرين.

وسينحرف عبد الحى الكتاني بعد كتابة هذا النص بحوالي سنتين، حينما اعتقل هو وأخوه الشيخ محمد الكتاني ووالده عبد الكبير الحسني الادريسي الكتاني سنة 1327 / 1909 بدار المخزن بفاس، إذ أنه بعد إعلان الحماية بالمغرب والى الفرنسيين انتقاما لاختيه وأسرتة، وطمعا في استرجاع مجد زاويته. وهذا النص يعكس وعيه السياسي والثقافي، واطلاعه الفقهي الواسع. ويمتاز إضافة إلى ذلك، بتصوير ظروف الانتفاضة وملابساتها ومعطياتها السياسية والاجتماعية والدينية، وما أثارته من جدال فقهي بين العلماء في العاصمة العلمية والسياسية آنذاك : فاس. وربما في غيرها من المدن المغربية المهمة مثل مراكش.

ويعود تاريخ كتابة النص إلى 26 ذي الحجة 1325 — دجنبر 1907.

«وبالجملة فإن نصوص الشرع معنا، وقواعد الدين تذود الظلم عنا، فأني ينفع صاحب الرباط⁽¹⁾ — مع هذا — ذب صاحب الجريدة⁽²⁾ عنه أو عليه، فمن يتوقف في خلعه وإزالة سترو ؟ كيف لا وهو الرجل الوحيد الذي يعتقد تصويب فعل الفرنسيين مع الشاوية الجند العربي، وقد قال وزيره الحربي⁽³⁾ لبعض

النواب أن سيده راض عن الخطة التي ارتكبتها فرنسا في جهة الدار البيضاء، مع أن قبائل (4) (!) البواخر فعلت في تلك المدينة التجارية غير (5) المحصنة ما لم يسبق له مثال في عصر المدنية قط، فقد هدمت قباب وصوامع ومعابد (6)، مع أنه في كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول في الحرب، في البند الخامس عشر من تعليمات مؤتمر بروكسيل، أنه لا يجوز إطلاق المدافع على مدينة غير محصنة، أو مدينة قد استسلمت وفتحت أبوابها للعدو. وقد أجمع المشرعون (7) بالنهي عن إطلاق المدافع على المدن التي لم تشترك في الحرب. أو الثغور التجارية غير المحصنة، وأن كنوز العلم والصناعة والمتاحف في حوز مكين. انتهى ملخصا.

ولا شك أن عقلاء الشعب الفرنسي لا يرضون بذلك، ويعذرونه (8) مخالفًا لقواعد الحرب، ولكن من فعل ذلك منهم بالدار البيضاء، أراد أن يعاملنا بما عاملهم به الألمان في مدينة باريس، عاصمة فرنسا، في الحرب (9) الأخير (10)، الذي لا تزال رناته في أذان الفرنسيين إلى آخر الدهر، وذلك أنهم أجمعوا على اتهام الألمان بعدم مراعاتهم القواعد الإنسانية، في حربهم السبعينية. وكتب أحد رجال المجمع العلمي الفرنسي في مجلة العالمين في 15 أكتوبر (11) سنة 1887 (12) مسيحية، أن الألمان في حصارهم ستاسبورج، تركوا الحصون، وصوبوا مدافعهم على المدينة فمطروها بقنابل محرقة، وأصابوا الكنيسة الكاتدرائية المشهورة ومكتبتها ومستشفياتها، واعتذر الألمان بأن ذلك حدث خطأ من فرق المدافعية، فرد حجتهم قائلاً أن خرائطهم كانت دقيقة واضحة فلا يحتمل هذا الغلط، وعليه فإن الألمان أحرقوا للفرنسيين عمداً 300 ألف مجلد وألفين وأربعمئة مجلد خطية من مكتبتها. فلو كان الخلع (13) ناصحاً لوطنه لدافع بما دفع به الفرنسيون إذ ذاك (14)، ولكنه متى عرف حقوق الدول، ولا قوانين الحروب، ولا أراد نصحاً لامته قط، فقد كان يعين جيش الاحتلال بالدخائر والاقوات، ويمدهم بكل ما في طوقه تقريباً إليهم وتودداً، ويعلمهم بكماين المسلمين.

وفي نزعة الحادي، لما ترجم لسيدي محمد العياشي بعد أن اذكر [أن] بعض القبائل دسوا للنصارى، أيام محاربتهم له، بأن محلته ليس فيها إقامة، قال ما نصه : «فأقام عليهم الحجة، وشاروا العلماء في قتالهم، فأفتى سيدي العربي الفاسي بجواز مقاتلتهم، لأنهم عادوا الله ورسوله، ووالوا الكفار ونصحوهم، ولاهم تصرفوا في مال المسلمين، ومنعواهم من الراتب، وقطعوا البيع والشراء عن الناس، وخصوا به

أنفسهم، وصادقوا النصارى، وأمدوهم بالطعام والسلاح. وكان الامام سيدي عبد الواحد بن عاشر، رحمه الله، لم يجب عن ذلك إلى أن رأى بعينه، حيث قدم لسلا، الاندلس يحملون الطعام للكفار، ويعلمونهم بغرة المسلمين. فأفتى بجواز مقاتلتهم، وحكم في رقائقهم السيف أياماً، إلى أن أخذ بدعتهم، ورجع بهم إلى الكلمة».

وقد سئل الامام أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي عن بيان الحكم من طوائف بنى عامر الذين آووا إلى النصارى، ودخلوا في ذمتهم من غير اضطرار : هل تكون أموالهم فيئاً على المسلمين، أو غنائم تخمس كأموال المسلمين ؟ فأجاب أن فتاوى علماء المغرب من أهل القرن التاسع فما بعده، قد تكررت في مثل النازلة، فليكن عليها الاعتماد، لأنهم قدوتنا في ديننا، وهم أعلم بمأخذ كتاب ربنا وسنة نبيِّنا. فمنها جواب الامام مفتى الاسلام أبي مهدي عيسى الماواسي وقد سئل عن أناس سكنوا بأوطانهم على ذمة العدو الكافر، دمره الله، مع أنه يتأتى لهم الانتقال من تلك الأوطان، وحالهم مع أقسام : قسم يغرم لهم ولا يتردد إليهم، وقسم يتردد إليهم للتجارة، لا لغيرها، وقسم يتردد إليهم ويعلمهم بأخبار المسلمين، وقسم يركب معهم للاضطهاد، ويقول لهم : أطل الله هذه المدة.

فأجاب : أما قيام المسلمين اختياراً تحت ايلة الكفر فحرام؛ إذ لا يحل لمسلم أن يعقد الصلح مع الكافر على أن يغرم له، باتفاق في مذهب مالك. فمن فعل ذلك لا تجوز شهادته ولا إمامته. وأما القسم الثاني فهو أسوأ حالا وأقبح. وأما الثالث، وهو من يعلمهم بأخبار المسلمين، فهذا أقبح الفرق الثلاثة، وأشبه حالا بأخسوس الدال على عورات المسلمين، وأما القسم الرابع، وهو المتردد إليهم، ويعرفهم بالطرق الموصلة إلى الاستيثار [ب] المسلمين، فهذا بسئ الفريق، وهو أقرب للكفر من الايمان، لأن المحب للكافر والراعي بالعزة له، والاستطالة على المسلمين، من علامة الكفر، انتهى ملخصاً.

ثم إن صاحب الرباط ما كفاه ما كان يوجهه من المؤونة والذخيرة لجيش الاحتلال في طنجة وغيرها، لتقويته على إخواننا المسلمين حتى جهز لهم جيشاً عرمرماً يشن عليهم الغارة من جهة⁽¹⁵⁾، والعدو الكافر من جهة، مع أنه لا موجب لما ذكر من محاربة الشاوية؛ حيث إنهم قاموا للذب عن بلادهم، ونصرة دين آبائهم

وأسلافهم، فكان ينبغي له أن يتنافس في إعانتهم، ويذل القليل والكثير من جهده في نيل نصرتهم، ولكنه عكس، وما نظر إليهم قط بنظرة رضا، بل ما كان يسميهم الا بالفساد والنهاب، ويغري عليهم من بحوارهم من القبائل لسبي ذرائعهم، وتشتيت أموالهم.

وقد سأل السلطان المعظم سيدي محمد بن عبد الله العلوي علماء عصره، أيام حصـ[ر]ه على ثغر اميلية سنة ثمانية وثمانين ومئة وألف عن ما ظهر من بعض الترك، من أن بعض المسلمين ممن شملتهم ولا يتهم، حضروا حصار اميلية، فلما رجعوا إليهم، أباحوا دماءهم، وروعوا أوليائهم، وتعاقدوا على أن يكون هذا جزاءهم.

فأجاب هلال المغرب أبو عبد الله بن سودة بما نصه : لا شك أن فعل ما ذكر من القتل والتنكيل بمن آوى إلى الله من المسلمين، وانحاز إلى طائفة المجاهدين، لا ينبغي أن يعد فاعله من أهل الدين، ولا أن يدخل في جملة المؤمنين، لما اقتضاه فعله هذا من رقة الديانة، وضعف الأمانة، وإهانتها ما أعظم الله قدره، ورفع على لسان رسوله صلى الله عليه ذكره، وجزاؤه هو أن يؤخذ فيغل، بعد أن يطاف به جزاء للسيئة بمثلها، وقصاصا من نفسه الخبيثة بسوء فعلها، ثم يرد إلى ربه، وهو أعلم بقصده ونيته، فإن كان قتله لمن جاهد نصره لاعداء الله وحمية لهم، ومحبة في دينهم، فهذا خلع من عنقه رقة الاسلام، واستحق أن يلحق بمن عند الأوثان والأصنام، «وإنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا»⁽¹⁶⁾. وفي صحيح مسلم : «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم. وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم الا وقف يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء»⁽¹⁷⁾ فما ظنك بمن يخونه في نفسه ؟ وفضل الجهاد وعظم موقعه من المعلوم ضرورة عند كل المسلمين. انتهى جوابه ملخصا.

وأجاب الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن بناني أيضا بقوله : إن الذي يفعل ذلك بالمسلمين، لا شك في فسقه وظلمه وجوره، وأنه من أهل العظام في الدين، وذوى الكبائر من المفسدين، يجب على كل من قدر عليه وتمكن، أن يكف أذاه عن المسلمين. فإن قلت : هل على هؤلاء المؤمنين المقتولين درك حيث توجهوا للجهاد بغير إذن واليهم، قلت لا درك عليهم في ذلك، حيث كان من ولاية الجور.

قال ابن وهب : إن كان الإمام عدلاً لم يجوز لأحد أن يبارز العدو أو يقاتله إلا بإذنه، وإن كان غير عدل لم يلزم استئذانه في مبارزة ولا قتل، انتهى ملخصاً.

وأجاب سيدي علي بن هاشم العراقي بما نصه «ان قتل النفر الذين توجهوا إلى محل الجهاد لتكثير سواد المسلمين، والإعانة في قتل أعداء الله الكافرين، يعد من فاعله ردة؛ لأنه لا يصدر إلا ممن خلع من عنقه ربة الدين، وأنه إنما قتلهم لأجل جهادهم، وقد صرح بذلك حيث نادى هذا جزأؤهم وجزء من يفعل مثل فعلهم، ولا يقتل مومناً مسلماً، لأجل الجهاد، إلا كافر، فهو كمن قتله لأجل إيمانه، فقياسه عليه واضح ظاهر، وحكمه أنه يستتاب من فعله الدميم، الذي يقصيه من دار النعيم، ويدنيه إلى دار الجحيم، فإن تاب فيمكن منه أولياء المقتولين ليقتلوه قصاصاً، وإن لم يتب، فيقتل حداً تكفره، وقد خسر خسارنا مبيناً، ويحق عليه قوله تعالى «ومن يقتل مومناً متعمداً..» (18) «الآية» فالسيف يحكم عليه على كل حال، فهذا هو الحق».

فإذا كانت نصوص شرعنا المقدس تحكم على المولى عبد العزيز المخلوع بما ذكرنا، فكيف يسمى سلطاناً بعد ؟ أو تلزم أحداً بيعته أو طاعته ؟ [لأن] ما أمر الله أن يطاع إلا أولو الأمر منا في قوله سبحانه : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» (19). وهو ليس من أولى الأمر، ولا منا.

أخرج مسلم في صحيحه، عن عباده بن الصامت رضي الله عنه، قال : «دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعنا، فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ولا ندرع الأمر أهله، قال إلا أن يكون كفراً بواحا عندكم من الله فيه برهان» (20).

قوله عليه السلام بواحا بالواو والراء، والأول أكثر، وهما بمعنى، يقال باح الشيء إذا ظهر واشتهر، فالمعنى إلا أن يكون كفراً ظاهراً مشتهراً، قاله الأئمة في شرح مسلم.

ونقل عن القاضي عياض ما نصه : لاختلاف أنه يجب على المسلمين عزل الإمام إذا فسق بكفر، وكذلك إذا ترك إقامة الصلاة والدعاء إليها، أو غير شيئاً من الشرع، انتهى من الآي، ونقله ابن الشاط في حاشيته أيضاً.

وأولو الأمر في الآية المذكورة ليس عبد العزيز قطعاً، لأن المراد في الآية من وجبت طاعته من الأمراء والولاة، وهو قول أكثر السلف في الآية، واستدل بعضهم بما جاء من قبل الآية «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل» (21). وقد علمت أن صاحب الرباط ليس ممن تجب طاعته لعدم توفر شيء من شروط الملك فيه؛ فإنه لم يصل إليه بالاستحقاق، بل بالتغلب والاستبداد.

وقيل المراد بأولى الأمر في الآية، العلماء. وقد علمت أنه ليس منهم. وقيل هم أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

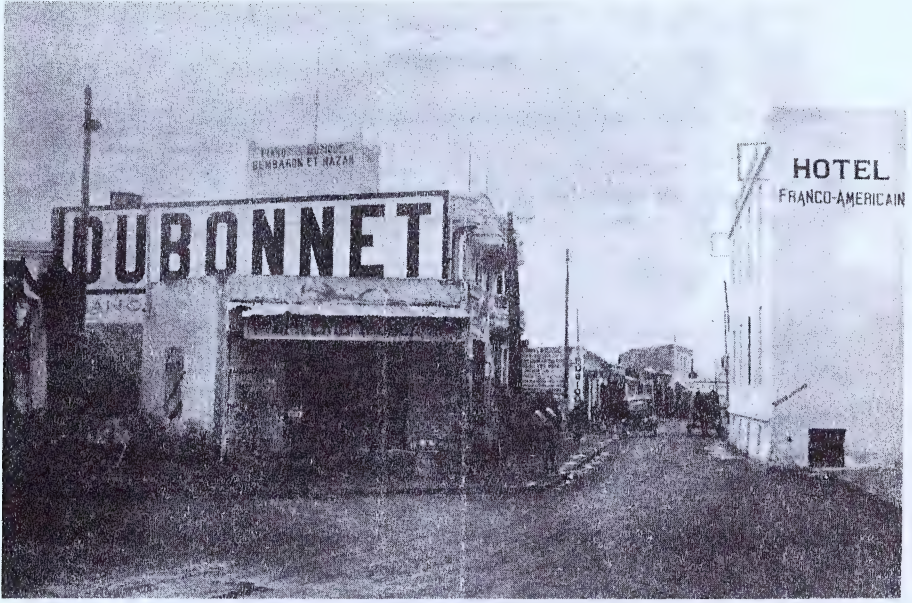
فإذن المولى عبد العزيز ليس بسلطان شرعي، وخلعه ثابت لا مغير له، فإذا طالع المطالع المنصف ما أوردنا من نصوص أئمة شرعنا المقدس المتضمنة للحكم بتعين خلع بيعة عبد العزيز عن أعناق المسلمين، وإزالة رفعة عن قلوب المؤمنين، فكيف يسوغ لأحد أن يسوء الظن بالسادات العلماء، بارك الله في جمعهم، وحفظها من التشتيت، وينسبهم على سبيل التهمة للاكراه فيما صدر منهم من الإفتاء بتعين خلعه، بل وإيقاعه بالفعل...».

مفاكهة ذوي النبل والإجادة، حضرة مدير جريدة السعادة

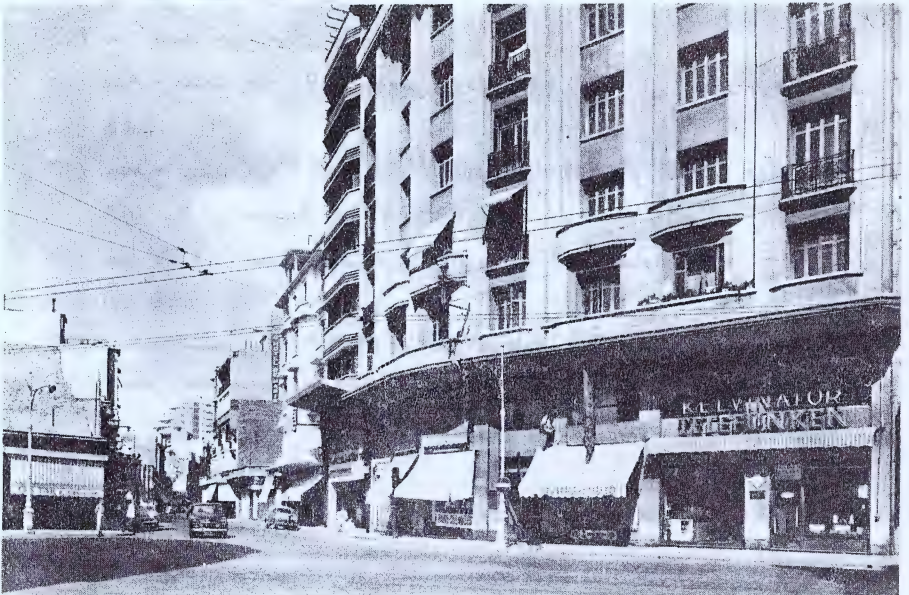
عبد الحي الكتاني

ص : 25 — 29

- (1) يقصد السلطان عبد العزيز.
- (2) يقصد وديع كرم، رئيس تحرير جريدة «السعادة» في ذلك الحين، وهو لبناني وأحد صنائع الصدر الأعظم الجباص.
- (3) وزير الحربية المغربية آنذاك، المهدي المنبي.
- (4) الكلمة غريبة عن السياق ولعله يريد قنابل أو قنابر.
- (5) أصل الكلمة في النسخة الحجرية المعتمدة «الغير»، وهذا خطأ، لأن «غير» التي ترد بمعنى الاستثناء أو الصفة، لا يلحقها التعريف بأل، و«الغير» المعرفة هي التغير والتبديل.
- (6) أصل الكلمة في النسخة «عما بد» !
- (7) «المتشرعون» و«شرع» لا يأتي على وزن تفعّل.
- (8) هكذا وردت الكلمة والمعنى يتطلب كلمة «يعتبرونه» أو «يعدونّه» أو ما يرادفهما.
- (9) الحرب مؤنثة وتذكر على معنى القتال.
- (10) يقصد الحرب السبعينية وسميها بعد قليل.
- (11) 15 أو 10، لأن الأرقام في النسخة تكتب تارة بالترقيم الهندي وتارة بالترقيم العربي.
- (12) في أصل النسخة 187.
- (13) يقصد السلطان عبد العزيز
- (14) في أصل النسخة (إذ ذلك).
- (15) لعله يقصد جيش مولاي الامين.
- (16) صحيح مسلم، إمارة : 139 — سنن أبي داود، هاد : 11 مجتبي النسائي جهاد : 47، 48.
- (17) صحيح مسلم، إمارة : 139، سنن أبي داود، جهاد 11، مجتبي النسائي، جهاد : 47، 48، سند ابن حنبل 5 / 352، 355.
- (18) بقية الآية «... فجزاؤه جهنم خالدا فيها..» الآية 93، النساء.
- (19) الآية 59، النساء.
- (20) صحيح مسلم، إمارة : 69.67 — سنن ابن ماجه، إقامة : 16، 54 صحيح البخاري أحكام : 44 سنن الدرامي، سير 17 — مجتبي النسائي، طهارة 118، ماجد 11، مسند ابن حنبل : 3 / 434 — 4 / 19 — 5 / 35.
- (21) الآية 58، سورة النساء.



- زنقة الأمير مولاي عبد الله، عام 1915 و 1956 .



واقعة الدار البيضاء

الحاج محمد راغون

(... 1337)

ترجع أهمية مقالة «واقعة الدار البيضاء» إلى كونها كتبت في فترة قريبة نسبيا في حادثة الدار البيضاء، كتبها الفقيه والكاتب والوجيه الحاج محمد راغون الأندلسي التطواني المتوفى سنة 1337 هـ.

وتستمد الوثيقة قيمتها من مكانة صاحبها، فقد حضر تأسيس أول حكومة خليفية رئيسها المصدر الأعظم محمد بن عزوز بتطوان، وأسندت إليه مهمة الكاتب العام للمجمع العلمي المغربي المؤسس بتطوان يوم

1916/ 12/ 30

نشرت بمجلة «الانوار» التطوانية ع 27 / 14.15 - يناير وفبراير 1952.

«..وحاصل هذه الواقعة.. أن الحضرة الشريفة العزيزية، عقدت كمنطردة، مع شركة فرنسية معروفة بالكومبانية المغربية على جعل مرفأ بمرسى الدار البيضاء، مثل ما عقدت مع كمبانية ألمانية في شأن بناء مرفأ بالمرسى الطنجي، ولما شرع عملة الشركة في هذا البناء، مدت سكة حديدية للاتيان بالحجارة الصلدية، فمرت بالسكة على طرف من مقبرة المسلمين وأملاك لبعض المالكين، وفي إثر هذا الامر.. اقتضى نظر الحضرة الشريفة جعل مراقب فرنساوي يعاين أشغال الدواوين، فعين الرقباء، وشرعوا في ما أمروا به، وجلسوا في أغلب المراسي، ومن جملتهم من توجه للثغر البيضاوي جلس فيه، فتحرشت لذلك القبائل، وكثر فيها المقول والقائل، واجتمع منهم قرب المدينة، ودخلت طائفة منهم لحاكمها لمشاوتة في النازلة، فقابلوا السيد بوبكر بن بوزيد، وكلموه فيما صدر من زيد فأجابهم بأن الامر هين، لا بأس به وأنه يصدد مباشرة أمره، ووعدهم بالرجوع اليه غدا ليجيهم بما يباشره من القضية حتى لا يقال إنه تعدى، فخرجوا على ذلك ورجعوا في الوقت الموعود به هنالك. فبقوا خارج المدينة لانتظار من يرد عليهم منه عامل، وبقوا ينتظرونه حتى انصرم الاجل وخاب لهم الامل، فقاموا لابسين ثوب الحيرة، مؤثرين

مزار الغضب والخيبة، قاصدين السكة الممتدة، وحمولها عن محلها بشكل كلفة ومحنة، وفكوا ملاقيها.. وعند رجوع العربة الحاملة للحجارة، وألفت الطريق منقطعة، عزمت على إصلاحها لتصل إلى محلها بكل سرعة، فنزل العملة لإصلاح الفاسد، ظانين أن فاعل ذلك فر بنفسه حيث صادف الفراغ الكاسد، فمانزلوا حتى تكلمت فيهم القراطيس، وقضى الاعراب في الفرنسيين غرضهم بكل فظاظة، فمات من الفرنسيين ثلاثة ومن الاسبانيول اثنان، ومن الطليان ثلاثة، ومنهم مجروح واحد، ومن البرتغيز جريح واحد، ومجهول الجنسية أحرق، فالجميع أحد عشر.

وكانت الواقعة في ثامن عشر جمادى الثانية 1325، ونادى الاعراب بالجهاد في المدينة، ثم تناقلت الاخبار لكل جهة، وبالخصوص إلى أوروبا، وبوجه أخص إلى فرنسا، فقامت وقعدت وأبرقت وأرعدت وأعلنت احتلال الدار البيضاء، فوجهت مراكبها لمياه الثغر، المذكور ولا زال الاعراب مصرين، على فعلهم حتى أدت بهم جساتهم على مد اليد في ديار نواب الاجانب وقناصلهم فعندئذ طلب قنصل فرنسا من كبير المحلة التي كانت هناك، عم الجنب العالي بالله مولاي الامين بن عبد الرحمن ان يساعده على إنزال خمسين من عساكرهم لحراسة داره، فأجابه الشريف المذكور بأنه ما دخل من المحلة للبلد بجيشه وعسكره إلا لتهديد الروعة وإخماد الفتن، وما هو موجود لأن يعطيه ما يكفيه للحراسة من العساكر المخزنية، فرد عليه القنصل بأنه لا تطمئن نفسه لذلك ولا ثقة له بالموجودين عنده الآن لحراسته.. فأجاب الشريف بالمساعدة على انزال العسكر المشار إليه بشرط أن ينزل في الصبح قبل أن تعمّر المرسى، ووقع الاتفاق على ذلك.

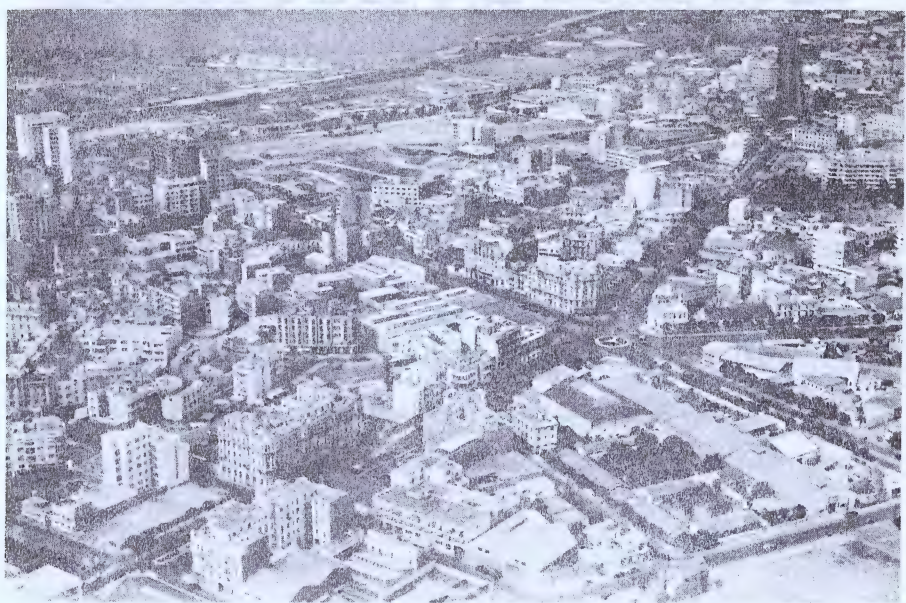
وفي صبح الغد، نزل خمسون من عسكر فرنسا، وأربعون من عسكر اسبانيا، فلما وصلوا إلى باب المرسى وجدوها مغلقة فدقوا فأجيبوا برصاصه من سور البلد جرحت واحدا من العساكر، فلم ينفعهم سوى كثرة الدق حتى فتحت الباب، فبادروا فاتحها بالضرب بتفالة المكاحل، وكذلك كان عملهم في سائر الطرقات إلى أن وصلوا لديار قناصلهم. وبذلك تحزيت الاحزاب من الاعراب، وأتمت للمدينة من كل فج، وشرعوا في الضرب والفتك والقتل، ثم أطلقت المراكب الحربية الفرنسية أفواه مدافعها على نواحي المدينة وما قرب منها فأجابه بعضهم بمدفع قديم من بعض الأبراج، فالفتها حجة، وقصدت ذلك البرج فهدمته

وأهلكت من كان به، واتبعته بحومة من أحوام المدينة المجاورة له، وصارت تقصد المحلات الفارغة من الأجانب وتهدمها حتى صارت المدينة خرابا يبابا. وقد حصل من الموت والجرحى ما لا يعد ولا يحصى، ثم أنزل الفرنسيين 2400 من العساكر زيادة في تحصينها بعد تخريبها وتشتيت شمل أهلها وجردها من بها، من الأسلحة، وأكثر البحث في الديار والأماكن حتى جمع سائر أنواعه. وشرع العامل ابن بوزيد، ومن معه من بعض الاعوان واليهود، في جمع الموتى ودفنهم. ولما كثر عليهم الامر وعظم، وتفاحشت الروائح الكريهة، جمعهم بمحل واحد وأحرقوهم. وأما الجرحى فجمعوا بجماع وصار الأطباء يعالجونهم، كما أن جرحى الفرنسيين جمعهم بدار القائد الحاج المعطى المزمى يعالجونهم كالمستشفى، ولا زالت الاعراب تهاجم المحتلين وتحدث مضاربة بين الفريقين مجهولة الحال لإخفائها. وإن كان الفرنسيين يستظهرون بما يفيد أنهم يقتلون ولا يقتلون، ولكن ما يأتي من الغير من إفادة الضد، يؤيده حرص الفرنسيين على كتمان الحقيقة وامتناعه من الاطلاع على الوقائع.

ثم أن كبير الفرنسيين الذي هناك أرسل ذات يوم في طلب العامل ابن بوزيد، فلما ورد لعنده وجد بعض العسكر في انتظاره، فتوجهوا به للمرسى، ومنها اركبوا مركبا حريبا بقي به مدة هناك، ثم توجهوا به لوهرا، ومنها أتوا به لطنجة ووضعوه في المركب المقيم بمياهها المسمى «جان دارك»، وبقي به إلى أن سيأتي بحول الله ما آل إليه أمره — كما أن أمر الدار البيضاء بقي ما بين هجوم الاعراب عليها ودفاع المحتلين عنها مرات متعددة، كل مرة يقع فيها موت وجرح من الجانبين، غير أن تفصيل الوقائع مجهول مكتوم غاية الكتمان. لانقطاع الاخبار من تلك النواحي إلا ما يوافق غرض المحتلين، وذلك لأمور منها خوف وصول ما يشوش أفكار عامة فرنسا وينشأ منها مرج ومرج، ومنها خوف شيوع ذلك بين الامم عموما والمغاربة خصوصا، وتنال دولة فرنسا من ذلك ما تناله من الازدراء.. الخ الخ...».



- ساحة دكار (ملتقى شوارع : المقاومة، إميل زولا، خرييكة، عبد الله بن ياسين). في سنتي 1923، 1953



احتلال الدار البيضاء

شاهد عيان

إذا كانت مصاهرة عائلة «مدينة» لعائلة «راغون» قد مكنت أحمد مدينة، مدير مجلة «الانوار» من الحصول على مقالة «واقعة الدار البيضاء»، ونشرها، بعد وفاة صاحبها، فإن نشرها أتاح لنا الاطلاع على وجهة نظر «شاهد عيان» لاحداث الدار البيضاء بعد مرور قرابة نصف قرن على وقوعها. وأهمية هذه المقالة تكمن في كونها شهادة لاحد الكتاب الذين عاشوا تلك الحادثة المفجعة.

نشرت بمجلة «الانوار» ع 28 / 13 وما بعدها — مارس وأبريل 1952

من الاسباب الظاهرة أن حكومة المولى عبد العزيز — رحمه الله — كانت قررت بناء مرفأ بمرسى الدار البيضاء، فاتفقت مع شركة افرنسية وجعلت معها عقدا على بناء المرفأ المذكور.

وقد شرعت الشركة في أعمالها التمهيدية فاحتلت محلا مجاورا للمرسى كانت فيه مقبرة قديمة، جعلته ميدانا لاشغالها ومستودعا لآلاتها وأدواتها، ومدت خطا حديديا لقطار صغير لنقل الحجر من محل يسمى «عين مازي»⁽¹⁾ فهذه الحركة شغلت عقول القبائليين الجوار، وكثر بينهم القيل والقال، وكان في نفس الوقت بقبيلة الشاوية الامير مولاي «المن»⁽²⁾ ومعه قوة عسكرية يراقب الاحوال هناك ولما شعر بروح الثورة تنتشر، دخل بعسكره للدار البيضاء، وخيم بالسور الجديد المتصق بالمدينة من جهة الغروب، الذي هو عبارة عن ساحة واسعة الاطراف على شاطئ البحر بسور من جميع الجهات، ولها باب للمدينة وآخر لخارجها، كان بناه السلطان مولاي الحسن — قدس الله روحه — مخصصا لبناء دور الاجانب

على حسب أذواقهم. ولم تتحقق الفكرة وبقي المحل المذكور فارغا لم يبق فيه شيء حتى إذا ما جاء جيش مخزني نزل فيه.

ثم إن المخزن أصدر أمره بجلوس المراقبين بديوانات المغرب مع الأمناء بدلا من أن يأخذوا الستين في المائة من الدين الذي كان على المغرب لفرنسا من غير أن يجلسوا مع الأمناء سابقا. وصادف جلوس المراقب بديوانة الدار البيضاء نفس اليوم الذي ابتدأ القطار يسير من المرسى إلى «عين مازي» ينقل الاحجار وشرع عمليا في مشروع المرفأ. ثم شاع الخبر في القبائل المجاورة، فقامت قيامتهم، واعتبروا هذه الحركة إهانة لهم، وحينئذ بعثوا جماعة منهم لمقابلة أولى الامر وللبحث عن الاسباب التي نتج عنها هذا الحادث غير⁽³⁾ المنتظر، فقصدها مولاي «لمين» يطلبون توقيف القطار وإخراج المراقب من الديوانة. ومع الاسف لم يقابلهم في اليوم الاول وأجلت المقابلة للغد، فرجعوا من حيث أتوا، وعادوا إليه في اليوم الثاني، فلما طلبوا مقابلته، قالوا لهم أن الأمير لا زال نائما ولم يجزؤ أحد على إيقاظه. فكان هذا الجواب هو الرئيسي للتمرد، والخطوة الاولى في الاعمال الثورية. وانطلقوا يطوفون أولا في شوارع المدينة وينادون بالجهاد، ويحذرون الناس من البقاء في الدار البيضاء، ويستنهضونهم للهجرة لاجل ثلاثة أيام، ومن خالف قدمه هدر.

أما أولو الامر، فبقدر ما وصلت إليه الحالة من الخطورة، كان موقفهم موقف الحائر الذاهل، رغم ما لديهم من القوة المسلحة التي كانوا يستطيعون أن يخدموا بها هذه النار، وينقذوا قطرا بأكملة من اندلاعها، وحيث إنهم لم يتداركوا الامر استمر المتظاهرون واشتد حماسهم ولم يقفوا عند حد، بل صاروا يضربون من وجدوا في طريقهم، ثم عمدوا إلى السكة الحديدية وحطموا القطار وقتلوا سائقه وأعوانه، وبعد هذا توجهوا لحل الخدمة (عين مازي) فقتلوا من سقط في أيديهم من العملة الاجانب والباقي فر بنفسه ولجأ إلى «قور» بعزيب قرب معدن الحجر واختفوا فيه، ومن العملة الاجانب أيضا من رمى بنفسه في البحر فالتقطته زوارق المراكب الراسية بالميناء حيث كانت تحمل الحبوب، وكانت تشاهد منها الحوادث على الشاطئ.

أما ما يرجع لامر الحكومة، فقد جاء الباشا لدار المخزن، واستدعى قناصل الدول الاجنبية، وجماعة من الشخصيات منهم أمناء الديوانة والمحاسب وأمين الاملاك، وجاءت فرقة من عسكر مولاي «لمين» لدار المخزن وذلك في الساعة التي

كان المتظاهرون يفتكون ويحطمون، فلما اجتمع المدعون خاطب الباشا أبو بكر ابن ألى زيد القناصل يطلب رأيهم في القضية، فكان جوابهم بلسان واحد: نحن أجنب ولا دخل لنا فيما ليس من شأننا، بل أنت المكلف عند المخزن. وخرجوا من حينهم، وزاد في الحديث معه نائب قنصل فرنسا أثناء خروجه فقال له بواسطة الترجمان اليهودي الزكوري — وأنا أسمع — «أنت الذي عملت هذا كله وأنت المسئول عن جميع ما يقع». فقال الباشا وهو في حالة الجزع والدهشة «ماذا عملت أنا؟» فقال له النائب «أنت عالم بهذا الامر من البارحة فماذا اتخذت من الاحتياطات؟ وما منعك من اخبارنا قبل وقوع الحادث فقد كان في وسعنا تأخير المراقب عن الجلوس مع الامناء وتوقيف القطار عن العمل ريثما تتخذ التدابير لذلك».

في هذه الاثناء كان مدير الشركة يتردد لدار المخزن يخبر أن المتظاهرين يقتلون العملة ويطلب نجدة من العسكر الواقف هناك لإنقاذ العملة، وأخيرا بعد فشل المحادثات خرج العسكر والخيالة وانقذوا العملة المختفين في العريب، وجمعوا جثث المقتولين، وادخلوا الجميع للبلاد، وانتهت حوادث اليوم الاول.

بعد هذا فروقوا العسس على دور القناصل، خشية الاعتداء عليهم، وباتت المدينة هادئة، ولكنها في اليوم الثاني أصبحت محتلة بالعربان المجاورين بالخیل والمشاة. جلس بعض رؤسائهم بباب المرسى، وقد ابتدأ تجار اليهود يفرون إلى البواخر الراسية هناك، بعد أداء واجب الخروج للرؤساء الجالسین. ولم يبق منهم، أي اليهود، إلا الفقراء، وقد حاول بعض المسلمين الفرار عن هذا الطريق، ولكنهم منعوا من جانب الوكالات⁽⁴⁾. دام الحال هكذا ثلاثة أيام من غير أن يحدث أي حادث. وفي صبيحة اليوم الرابع، رست باخرة حربية افرنسية صغيرة اسمها دشيله Docheila، وبمجرد وصولها طلع إليها نائب قنصل فرنسا ونزلت معه فرقة من عسكر مولاي «لمين» يعزفون بموسيقاهم، واصطفوا على الشاطئ كأننا في حفلة استقبال سلمی، والكل في انتظار ما يأتي به النائب وبعد حين رجع ويده إنذار من ريان الباخرة يحتوى على الشروط الآتية :

أولا : يجب أن لا يبقى أحد من المختلين المجتمعين بباب المرسى.

ثانيا : خروجهم من المدينة حالا.

ثالثا : إبعاد الناس عن السكة الحديدية من المرسى إلى محل الخدمة. وإذا وصلت الساعة الثالثة وبقي الامر كما هو، فسيكون مضطرا لقبلة المدينة بدون تأخير.. وهذا الإنذار بلغه النائب للبasha ابن بوزيد وحده فانقلبت عوامله، وعظم عليه تنفيذه، ورآه من المستحيل، وإنما حين عرض ذلك على الامناء — وكان معهم قواد العسكر — أخذوا يبيحثون عن المخرج والحل السريع، فدبروا حيلة لإخراج الاعراب من المدينة، حيث كان هذا أصعب ما في الإنذار. وبعد الاخذ والرد، قر رأيهم على أن يستدعوا رؤساء الاعراب للمفاوضة. وفعلا حضروا معهم وأثبتوا لهم أن المسألة خطيرة وقد أصبح من الواجب علينا جميعا، والحالة هذه أن نجتمع في محل متسع، بحضور جميع القبائل ورؤسائهم، وبعد أن نأكل الطعام مع بعضنا، نقرر خطة الدفاع وتنظيم المقاومة؛ لأن الدار البيضاء في كفالتكم ولا فرق بيننا، وبينكم، بل كلنا مسؤولون عن حماية بلادنا. فاستحسنوا الفكرة، واتفقوا على أن يكون الجمع «بغرسه فتيح»، وصدر الامر بإخراج الخبز والسمن والسكر وسرعان ما نادى الرؤساء في إخوانهم بالخروج «لغرسه فتيح» ولم يتردد الفرسان عند ما سمعوا النداء، والموائد تنقل على الرؤوس، فهرعوا كلهم إلى محل الاجتماع وتركوا المدينة فارغة، وفي نفس الوقت كان قواد العسكر متأهبين لاحتلال المدينة، وحصنوا أبوابها بالعسس المسلحة، وبقي العربان خارج المدينة منفصلين عنها، وأوقفت الحراسة على السكة، وتحققت الرغبة، وسلم اليوم من الحوادث.

وفي الغد، أصبحت البلاد في غاية الهدوء، وفتحت الديوانة والمتاجر، ورجعت المياه إلى مجاريها، واستمر الحال هكذا نحو الاربعة أيام، وظن الناس أن الخطر قد ارتفع وحل محلله السلام، وحتى الاعوان كانوا يدخلون للمدينة يبيعون ويشترون ولكن بدون سلاح، غير أن هذا لم يكن كافيا في نظر قنصلية فرنسا، ولم تر فيه الضمانة الكافية للاروبيين القاطنين بالدار البيضاء، بل كانت أوثق ضمانة عندها هي نزول العسكر الفرنسي لحمايتهم..

أما رجال حكومتنا الموقرون، فقد اقتنعوا بالهدوء المؤقت، وظنوا أن الامر قد انتهى، وعادوا إلى حالتهم العادية دون أن يفكروا في شيء إلى أن وصلت رسالة لمولاي «لمين» من القنصلية الفرنسية على سبيل الإخبار بأن الواجب يقضي بإنزال فرقة من عسكر الباخرة لحماية قنصلية فرنسا ورعاياها، حيث لا ثقة لهم بحراسة العسكر المغربي.

وصلت هذه الرسالة في النصف الأخير من الليل. فمولاي «لمين» كلف الباشا للقيام بهذه المهمة، ومن سوء (...) (5) فبدلاً من أن يباشر المسألة بنفسه بما يستطيع من الحكمة والتعقل، مكن مفاتيح باب المرسى لأحد المخازنية وأذن بفتحها لدخول العسكر، من غير أن يعطى المسألة أي اهتمام ولا أن يقدر خطورتها.

نفذ المخزني ما أمر به الباشا، وكان ذلك قبل طلوع الشمس، وفي الحين نزل ما ينيف على الخمسين من العسكر في زورق واحد، وتقدموا لباب المرسى، ومع دخولهم أطلق عليهم الرصاص من حراس الديوانة، فكانت هذه حجة لتحقيق الاماني، وأطلق العساكر الفرنسيون رصاصهم على من وجدوا هناك من المغاربة، وتابعوا سيرهم يضربون كل من يرونه في طريقهم.

وصلوا إلى القنصلية وطردوا العساكر المغاربة الذين كانوا يحرسونها، واستمروا يطلقون الرصاص من السطوح والنوافذ على المغاربة أينما كانوا، ونفس الخطة اتبعت في باقي القنصليات الأجنبية، لما كان لديهم من معلومات عما سيكون، وإمدادهم بالأسلحة للدفاع، ريثما تاتي القوة، فهؤلاء قد جمعوا رعاياهم ليلاً ووزعوا عليهم الأسلحة للدفاع عن أنفسهم، وما أن سمعت الطلقة الأولى من باب المرسى حتى شرعوا في ضرب المغاربة أينما ظهروا وأينما مروا، وكذلك المركب الحربي، فبمجرد الطلقة الأولى، أخذ يقبل برج سيدى غلال القيرواني وما جاوره من الأحياء الإسلامية.

أما السكان المغاربة، فكانوا لا يزالون في مضاجعهم، حتى فوجئوا بهول المدافع وضجيج البنادق من كل جانب، فلما ايقنوا بالخطر، هرع جلعهم إلى السور الجديد، وتركوا ديارهم وأمتعتهم طمعاً في الهجرة مع مولاي «لمين» ومرافقته إلى البادية. والبعض من السكان لم يجد سبيلاً للخروج من كثرة الرصاص في الطريق، والبعض لزموا ديارهم حيث كانت بعيدة عن الخطر. ولكن خروج مولاي «لمين» لم يتحقق، فبعدما قرر تنفيذ ما عزم عليه، تساقط الرصاص بساحة دار المخزن، وقتلت بغلته التي هيئت له، هذا وهجمت جموع القبائل لما سمعوا دوى المدافع على المدينة، ودخلوا إليها، واشتغلوا بنهب الديوانة أولاً ثم مخازن التجارة والخوانيت، ومنها إلى الدور، ما عدا دور القناصل، فإنها لم تصب بأضرار. وبقيت المدينة ميداناً للقتل والنهب إلى أن وصلت النجدة من البواخر الحربية والعساكر في اليوم الثالث، فكان أول عملها قبلة السور الجديد، وتشتيت الجمع الذي تكون

بداخله من الفارين من المدينة، فمات أناس كثيرون، وخرج الباقي للبادية، وبعد هذا اقتحم العسكر الفرنسي المدينة وفر من كان فيها من العريان.



فهذه صورة احتلال الدار البيضاء كيف ابتدأ وكيف انتهى، ولولا اهتمام ذوى النباهة والتدبير وتقديرهم للحوادث لعم الاحتلال جميع المراسى المغربية فقد رابطت عليها المراكب الحربية الفرنسية بصدد النزول بأي سبب، وقد أبلغت قنصلية كل مرسى أنه إذا وقع اعتداء على أروى أو يهودي أو وقعت أية فتنة فإن المركب يطلق عليها نيران مدافعه، وزاد في بلاغ الرباط أن المركب سيضرب العدوتين سواء كان السبب من احدهما أو منهما معا، ولكن أهل الرباط كانوا في إعانة الحكومة، وقاموا بالواجب أحسن قيام، ورتبوا العسس من نفس الأهالي في جميع الأسواق وأحياء المدينة كلها، ومع هذا، كادت في أول الأمر أن تندلع نار الفتنة من مدينة سلا حسب ما حكى هناك، وهو أن جماعة من المتهورين أوحى إليهم شيطانهم أن يضربوا المركب الحربي الذي كان راسيا في بحر العدوتين فقصدوا برجا من أبراج سلا به مدافع متلاشية، وما كادوا يباشرون العمل حتى بلغ الخبر للبasha فركب بغلته واقترح عليهم البرج وفرق جمعهم وأغلقه، ونظم الحراسة على الابراج كلها، وبفضله أنقذت العدوتان من التدمير.

وأما البasha أبو بكر بن بوزيد فقد كان له مسك الختام : الحكم عليه بالسجن على ظهر باخرة حربية لمدة سنوات جزاء ما أصيبت به الدار البيضاء بسوء تديره وتصرفه، وحكم عليه من جانب جيش الاحتلال بدلا من أن يحاكمه المخزن، وهذا مما يستغرب، لأن تهاونه وسوء عمله وعدم قيامه بواجب مهمته. لم يكن إلا وبالا على المغرب والمغاربة وحدهم، اللهم إذا كان جيش الاحتلال عاقبه نياية عن المخزن الشريف».

(1) « عين مازي » محجر يقع شمال شرق الدار البيضاء بمنطقة «الصخور السوداء».

(2) الامين.

(3) في الاصل (الغير).

(4) في الاصل (دوام).

(5) بياض في الاصل.

نص من المعسول

محمد المختار السوسي

1318 - 1963

تعكس هذه الوثيقة صدى إحتلال الدار البيضاء في منطقة سوس، وموقف القبائل منه، والأسباب التي حالت دون قيام القبائل الجنوبية وغيرها بحركة جهاد واسعة، إنجادا للشاوية، وإنقاذا للدار البيضاء، ووقفا في وجه الإحتلال الأجنبي.

وهي تتحدث عن الشيخ الحاج علي الدرقاوي (نحو 1268 — 1328/12) والد العلامة محمد المختار السوسي الذي كان، ولمدة ثلاث سنوات يحجب الأسواق، والمواسم، وكل المجالس، مستنهضا همم القبائل السوسية لمقاومة المحتلين الذين نزلوا بالدار البيضاء.

المعسول 1 / 302 — 304

«وقد كان الشيخ لما التقت على المغرب، خلقتا'بطان⁽¹⁾ لا يدع مجتمعا إلا نادى فيه بالبرّاح⁽²⁾ : « إن الزمان قد استدار. وأن الكفر قد وغل عليكم وسيحتل عقر الدار» وهو في أثناء ذلك يشتري السلاح، فقد عد ما تركه بعد موته بست عشرة بندقية رومية زيادة على البنادق الأهلية، وهذا القدر من أسرة واحدة كثير فوق جهد الطاقة، وقد كان معلوما أن مثله كان يعاب عليه أن يلتفت إلى التسلح لأنه صاحب زاوية، وقد رأيت من أهله المرابطين ما رأيت من أنهم لا يكادون يتسلحون، وإن تسلحوا يكاد السلاح لا يجدي في أيديهم بين جيرانهم المغاوير كالجاطيسين والحربيليين، ولسان حالهم ينشد :

على م تقول الرمح يثقل عاتقي إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت

هذا في ذلك المقام بين الأهالي، وأما في الاستعداد للدفاع عن الوطن فإن ذلك مقام آخر، ويرحم الله من أظهر من ضعفه قوة وإنما الأعمال بالنيات.

ثم إن الشيخ كان يحمل معه في السياحات بندقية بين يديه وهو راكب، فهكذا ورد إلى موسم تازاروالت حيث أمر بالنداء فوق المراكع(3) : أن يتهيا الناس. وأن يستعدوا للجهاد، فإن الكفار قد دهموا البلاد. وكذلك كان يوما آخر في سوق الخميس بايت بعمران وقد اجتمع كل رؤساء القبيلة فاستحثتهم على ترك الخصاصات بينهم، وأن الوقت قد حان ليتكثل الناس كلهم أمام العدو ويجب على جميع الرؤساء أن يأمرؤا المرابطين والعلماء والطلبة أن يتكلموا في السلاح. فهم أولى من يقود الناس إلى الشهادة في سبيل الله. فبينما يقول ذلك، إذا الاشكر -- الرئيس هناك -- يتخذ كلامه سخرية إذ قال له : «لن نقوم بهذا الذي تقول حتى يموت جميع أصحابك هؤلاء أمانا ويستشهدوا، وإذ ذاك نقوم بعدكم بدورنا، فالتفت إليه الشيخ محمر العينين وقال : «أو قد استنكفت أن تسمع الحق، وأبيت أن تنقاد للنصيحة، فها انتذا تأتى أن تدافع الكفار بعيدا وبوشك أن يدهموا عليك دارك حتى يخربوها». ثم أعرض عنه الشيخ كعادته متى خاطبه الجهال، فسبق القضاء أن خربت داره بعد نحو ست سنين بيد الجيش الفرنسي الذي هاجم تلك الجهة سنة 1335 هـ فكان عبوة لمن اعتبر، ولا يزال الحاضرون الذين هم أحياء الآن يروونها من فراسات الشيخ.

وكذلك ذهب الشيخ عام 1328 هـ إلى جيوش تجمعت في هشتوكة للقتال بينها، فنادى في رؤسائها : يكفيكم من هذه الفتن يكفيكم، فقد توجه إليكم من الأعداء -- إن لم تدافعوهم -- من لا يكفي منكم بجال ولا بأرض ولا بدين حتى يستعبدكم أنتم وأبنائكم. في كلام مثل هذا يتداوله الناس متى تذكروا بعد الاحتلال النذر التي يسمعونها من الشيخ ثم لا يأبهون بها فلم يعرفوا حتى خرجت البصرة.

وكذلك وقع للشيخ أيضا مع رؤساء أهل المعدر فبد صلاة الجمعة في مسجد القرية، خرج الناس إلى خارج المسجد، فوقف الشيخ يحثهم على جمع الكلمة وعلى تعيين حراسة على فرضة اكلوا، فقال له قائل إن العدو لا يزال بعيدا عنا فهو في الدار البيضاء، ولا يصلنا إلا بعد عشرين سنة إن لم يحل بيننا وبينه الدكاليون والحوزيون والحاحيون، فحرك الشيخ رأسه فقال : يا عجباً إن المسلمين كالجسد الواحد وهذا الأمر يجب أن يكون فيه الناس كلهم يدا واحدة فمتى تركنا الدكاليين والحوزيين والحاحيين فلا بد أن يغلبوا إن لم يعينهم السوسيون وأمثال

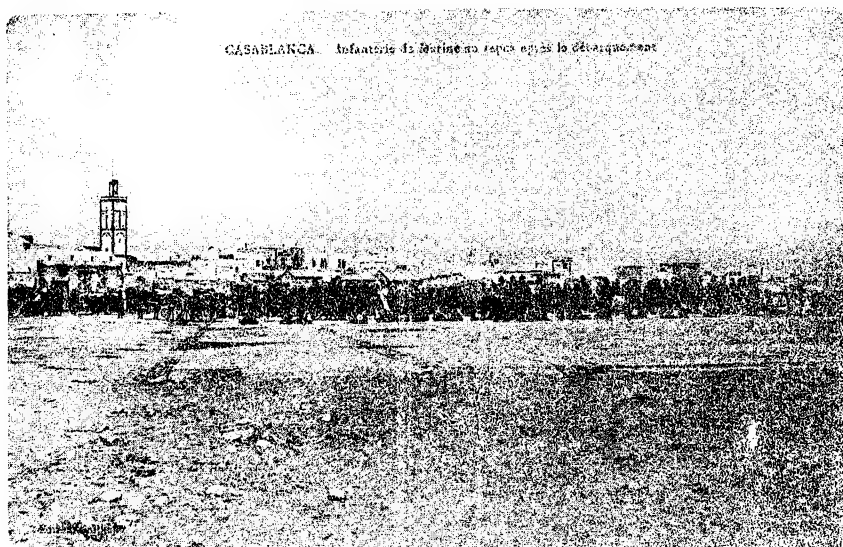
السوسيين، على أنك يا هذا — يخاطب ذلك القائل — تستبعد أن يصل العدو هنا إن لم يقاوم بالجد».

ثم تنفس الشيخ الصعداء واغرورقت عيناه بالدموع فقال : وأسفا أيها الناس فوالله إن لم يقم الناس في هذا الأمر قومة واحدة لترون الكفار هنا، هنا. وأشار إلى ذلك المكان ثم غلب الحال على الشيخ فغلبه الاستعبار فانفقت عن القوم.»

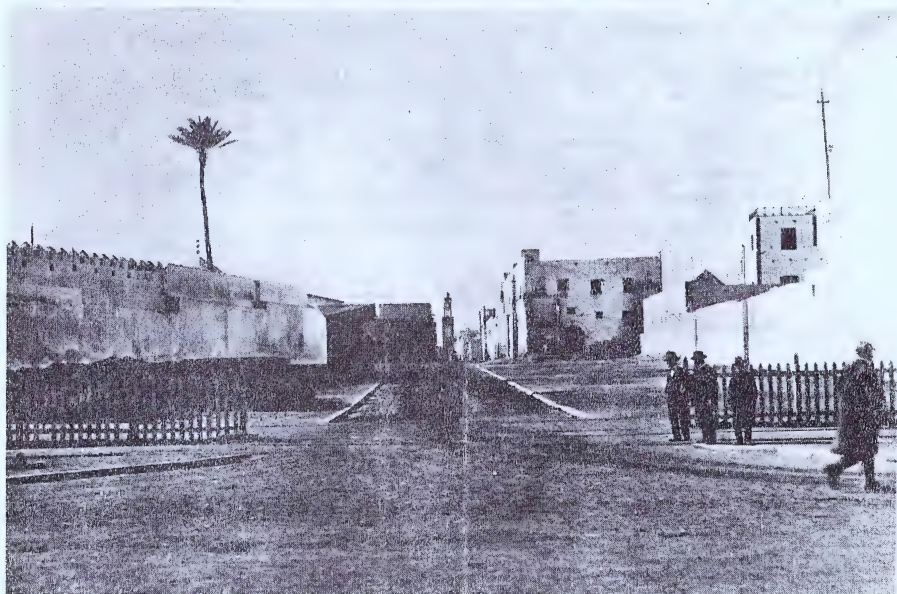
(1) حلقنا البطان : يقصد احتلال وحدة ثم الدار البيضاء.

(2) البراج كشدا : المنادي في الأسواق عادة.

(3) محل يجتمع فيه الناس كلهم بعد الموسم للدعاء. جوار مشهد الشيخ سيدي أحمد بن موسى.



القوات الفرنسية بعد الانزال



- شارع محمد الخنصالي، عام 1921 وعام 1953



3 — ملاحق أدبية

رسالة الى المجاهدين بالشاوية

للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني

1909/ 1873 — 1327/ 1290

أمدني بها مشكوراً الاستاذ العلامة محمد المنوني. وأصلها بالخزانة العابدية الكتانية بسلا. وردت فقرات منها في ترجمة «الشيخ محمد الكتاني الشهيد» : 190، 189

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم وبارك على أشجع خلق الله. وأثبتهم قلباً، وأخوفهم على دين الله أن يضيع، وعلى آله عدد الألفاظ الجاربات.

لتهناً قبائل الشاوية في مقابلتهم العدو : بما أعد الله — سبحانه — لها، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ورباطها في مقابلة العدو، ومحاصرتها له، خوف أن ينتشر في أطراف المغرب، ودفاعها على أوطانها وحرمتها ومالها وأولادها، الذين يودون أن تكفروا فتكونون سواء.

وقال تعالى : «ومن يتوهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين»⁽¹⁾.

ولو لم يكن في فعلكم إلا أنكم أحييتم فريضة الرباط في سبيل الله : لكان لكم الثناء الحسن، والذكر الجميل، والمحمدة والفخر، ولسان صدق في الآخرين، فكيف وأحييتم فريضة الجهاد، التي⁽¹⁾م لا يقوم الدين إلا بها، وما صلح أمر أول الأمة إلا به، فلا يصلح آخرها إلا به.

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : موقف ساعة في سبيل الله، خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود. وأخرج البيهقي عن سيدنا أبي أمامة أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله قال : إن

3 — ملاحق أدبية

رسالة الى المجاهدين بالشاوية

للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني

1909/ 1873 — 1327/ 1290

أمدني بها مشكوروا الاستاذ العلامة محمد المنوي. وأصلها بالخزانة العابدية الكتانية بسلا.
وردت فقرات منها في ترجمة «الشيخ محمد الكتاني الشهيد» : 190، 189

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم وبارك على أشجع خلق الله.
وأثبتهم قلبا، وأخوفهم على دين الله أن يضيع، وعلى آله عدد الألفاظ الجاربات.

لتهنأ قبائل الشاوية في مقابلتهم العدو : بما أعد الله --- سبحانه --- لها، مما
لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ورباطها في مقابلة العدو،
ومحاصرتها له، خوف أن ينتشر في أطراف المغرب، ودفاعها على أوطانها وحرمتها
ومالها وأولادها، الذين يودون أن تكفروا فتكونون سواء.

وقال تعالى : «ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم
الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم، يقولون نخشى أن تصيبنا
دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، فيصلحوا على ما أيسروا في
أنفسهم نادمين»⁽¹⁾.

ولو لم يكن في فعلكم إلا أنكم أحبيتم فريضة الرباط في سبيل الله : لكان
لكم الثناء الحسن، والذكر الجميل، والمحمدة والفخر، ولسان صدق في الآخرين،
فكيف وأحبيتم فريضة الجهاد، التي⁽¹⁾م لا يقوم الدين إلا بها، وما صلح أمر أول
الأمة إلا به، فلا يصلح آخرها إلا به.

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : موقف
ساعة في سبيل الله، خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود. وأخرج البيهقي
عن سيدنا أبي أمامة أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله قال : إن

صلاة المرباط عند الله — تعالى — خمسمائة صلاة، ونفقة الدينار والدرهم منه : أفضل من سبعمائة دينار ينفقه في غيره.

وأخرج أبو الشيخ في الثواب، عن سيدنا أنس رفعه : الصلاة بأرض الرباط بألف ألف صلاة، إلى آخره.

وأخرج الامام أحمد — بسند جيد — عن أبي الدرداء يرفع الحديث : من رباط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام : أجزأت عنه رباط سنة⁽²⁾، «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»⁽²⁾.

وقد تعجب الخلائق من صبركم وثباتكم، وقالوا : إنما كان هذا الصبر على عهد الصحابة الكرام، وتحقق الناس زيادة المرد الحمدي وفوضه، وعنايته ببيضة أمته، وحفظه لهم، ورعايته لهم على ما كانوا عليه من عمل، وإن أساءوا وفرطوا وعصوا، ووقع لهم الفتور في الأوامر والنواهي.

ولكن : «وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم»⁽³⁾.

«وربك الغفور ذو الرحمة»⁽⁴⁾.

«غافر الذنب وقابل التوب»⁽⁵⁾.

«وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات»⁽⁶⁾.

فاجتهدوا في الأذان ولو مائة مؤذن في جيش المسلمين، وقراءة أحزاب القرآن كذلك، وبترتيب أقوام يذكرون اللطيف الكبير كل يوم، وآخرون يذكرونه كل ليلة، والحسيلة يترتب لها أقوام آخرون يذكرونها على عدد اللطيف الكبير.

«الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم، إنما ذالكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم، وخافون إن كنتم مؤمنين»⁽⁷⁾.

والصلوات الخمس في أوقاتها — مع الجماعة — ولو في حالة القتال، فتعلموا صلاة المسابقة، المشار إليها بقول الله العظيم : «وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة : فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا بأسلحتهم، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم»⁽⁸⁾.

وقال : «إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون»⁽⁹⁾.
وإذا هجمتم فلتصيحوا : حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم
الوكيل.

«فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الا علون والله معكم»⁽¹⁰⁾.
واستودعكم الله الذي لا تضيع لديه الدوائع، والسلام.

- (1) الآيات 51 — 52، المائدة : أولها : «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض...».
- (1) مكرر في الاصل الذي.
- (2) مسند ابن حنبل 362/6.
- مكرر: الآية 200 آل عمران (2)
- (3) الآية 6، الرعد.
- (4) الآية 58، الكهف.
- (5) الآية 3، غافر، وتتمتها : «شديد العقاب ذي الطول».
- (6) الآية 25، الشورى.
- (7) الآيات 173، 174، 175، آل عمران.
- (8) جزء من الآية 12، النساء.
- (9) الآية 45، الانفال وأولها : «يا أيها الذين آمنوا...».
- (10) الآية 35، محمد.

CASABIANCA - Vie extérieure de Rempart - Boucherie Juive



الحى اليهودي خارج السور

رسالتان من الشيخ محمد الكتاني إلى بعض القبائل المغربية يحثها فيها على مساعدة قبائل الشاوية في مجاهدتها للكفار.
نشرتهما مجلة «دار النياية»

السنة الأولى صيف 1984 عدد 3/69.70

رسالة من الشيخ سيدي محمد الكتاني إلى القبائل يحثها فيها على تقديم العون للمجاهدين في الشاوية بعد الاحتلال الفرنسي للدار البيضاء.

«يا معشر المسلمين، كيف بكم سمعتم منذ مدة أن العدو فاجأ الدار البيضاء، وحاصره المسلمون حقا وصدقا، الأبطال، الموحدون، الناصرون لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله، المرابطون في نصرة الدين، القائمون بأنفسهم وأموالهم، وجاههم وخيلهم، لقتال أعداء الله تعالى وأعداء رسوله، ومدافعهم عن بلاد المسلمين، فلم تعينوهم ولم تأتوهم، ولم تفرضوا لهم فرضاً من عندكم، مع أنكم أيضاً شجعان، وفرسان، وموحدون، وأهل مال وقوة، ونجدة وإقدام، وغيرة على الدين، حتى تموتوا عليها... وإنكم لا تميلون مع الكفر، ولا مع من يحب الكفر، ولا تعينوهم ولا تجتمعوا بهم، ولا تساكنتوهم، ولا تطاعموهم، ولا تزوجوهم، ولا تتزوجوا منهم، ولا تمشوا معهم في الأسفار.. فعليكم إخواني بحراسة إخوانكم المسلمين، وحماية المستضعفين من المؤمنين، والمداخلة عن بلادهم، وإعانة جماعة المجاهدين، ومواساتهم تسعدوا سعادة أبدية، وتحرزوا سيادة سرمدية، وتفوزوا بخير الدنيا والآخرة».

رسالة أخرى من الشيخ في نفس الموضوع :

«... فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب حتى غار أيضا على بني زناتة⁽¹⁾ (زناتة؟)؛ وعوينه سيدي ملوك، ومدبونة، مع مجيئه قبل بمدينة وجدة، وجاء من خدعكم بالدنيا الفانية التي أفسدت الدين، والملك والمروءة والشرف والرياسة، وأورثت بلاد المسلمين للكافرين، فذهب أحزاب منكم، وما كنا نظن إلا أنكم عقدتم الأخوة الدينية وتطاعمتم، وصرت كالألذات الواحدة مع جيرانكم المسلمين، كأهل زمور والشراردة، وأهل الغرب والشرافة، وتتفقوا على كلمة واحدة، ولا رجوع فيها و [لا] نقص ولا تبديل ولا تغيير...».

(1) زناتة : القبائل الواقعة بين الدار البيضاء والمحمدية.

الزازية

محمد بن عبد الله بن المبارك المسفيوي المؤقت

مما كتبه ابنه في ترجمته (بالسعادة الابدية) : 44.43 :

«وأما قصائده الملهونة، فلا حصر لها، كلها حكم ومواعظ. وحسبك جفريته الزاوية الدالة على علو مجادته الحقية، وقد اشتهر صيتها شرقا وغربا، وتداولتها الامة عجماء وعربا. وأشار لذلك في بعض مقطعاته الملهونة بقوله :

هام وجدي واتحملت فوق جهدي صاح وعدي فضل الله ما نحصر
ضاق حالي وارمت للجوفالي بان عالي منزل اشيع خبر

نظمت «الزازية» في الفترة التي تم فيها احتلال الدار البيضاء، ثم احتلال بعض المناطق القريبة منها مثل مديونة وبرشيد.

وهي تستمد أهميتها من المرحلة التاريخية الدقيقة والحاسمة التي كتبت فيها، حيث انها استوعبت روحها وتمثلت أجواءها، ومن المنطقة الجغرافية التي شهدت تشكلها، فقد كانت مراکش، في تلك الفترة، عاصمة الثورة الحفيطية وبؤرة التغيير، وقبلة المتطلعين إلى التجديد انقاذا للبلاد، وصدا للاحتلال الاجنبي.

وأمدني بمثنى مشكورا فضيلة العلامة أحمد الشرقاوي إقبال.

- 1 أسَايَلِنِي انْفِيدَكْ اَبْكَافْرُ بَارِيْزْ
اسْتَفَادْ كُنْ فَايَقُ وَاتَّبِعْ الْغُرَزَا
- 2 سُكَّانُ الْغُرْبِ ضَنْهُمْ عُبَادُ الْوَيْزْ
فِيَهُمُ الْآلِي نَبِيْعْ دِيْنُو بِالْخُبْرَا

- 3 بِالظَّنِّ الْحَاسِرِ الْجَرِيمِ اَنَا كَيْلِيزُ
يَبْنِي لِقْصُورَ فِيهِ، وَيَقَابِلُ لَكْرَا
- 4 وَيَضَالِي عَلَى الْقَوْمِ بِاللَّوِيزِ وَلَهْمِيزُ
حَتَّى يَلْقَى إِيدِيرَ فَالْبَهْجَا حَنْزَرَا
- 5 طَمَعُ الْمُحَالِ حِينَ جَا وَبَعَى لَكَنْيَزُ
فَالْعَرْبُ إِشِيْطُ لَهُ كَرَّا بَيْنَ كَرَّا
- 6 لَأُصَوِّلِي لِلْجَرِيمِ بِالْهَزِّ أَتْدَبِيزُ
وَلَا عَمَّرُ يَنْدَرُ فَالْعَرْبُ الْمَعَزَا
- 7 عَرُّوا إِبْلِيسَ فَالْحَشَا زَحْمُو بَنْغِيزُ
وَحَكَمَتِ اللَّهُ جَابَتْهُ فِينِ يَتَرَزَا
- 8 اغْوَاةَ اذْخُولُ وَهَرَانِ ابْلَا تَجْهِيْزُ
وَذُخُولُ اثْوَاتِ مَالَقَى مَنْ فِيهِ اغَزَا
- 9 يَعْتَادُ الْعَرْبَ هَكَذَاكَ يُكُونُ اغْجِيزُ
وَيَنَالُ اِمْنَاهُ فِيهِ وَيَذَرُكَ الْبَرْزَا
- 10 اسْطَوَتْ اللَّهُ دَايِرَا بِالْعَرْبِ اَرْكِيزُ
وَحَضَرَتْ اَصْوَارُمُ الْمُخَاَزِي بِالْقَرْزَا
- 11 مَحْمُولُ عَلَى الْفَضَالِ مَا يُرْضَى تَحْيِيزُ
تَنْجِيَهُ عَلَى الشَّرَاكِ وَلَوْ بِالْدَبْرَا
- 12 مَا هَمُّهُ الْبَطَالُ يَحْشَى بِاَكْتَنْيَزُ
بِالْعُنْفِ إِيلُوزُ فِيهِ بَفْرَاخُ الْوَرَا
- 13 شَلَا بَسَفَاهَتْهُ وَلَا نَفْعُ تَحْيِيزُ
وَلَا جَرُّوْهُ اِرْتَاخُ مَنْ حَرَّ الْقَرْزَا
- 14 اَمْضَاتِ اِيَّامَ بَانَ فِيهَا كَانَ اِرْمِيزُ
فِيْئِدِيهِ اِتْشَانُكَ وَ تَغْلَبُ بِالْعَمْرَا
- 15 وَالْيَوْمُ اَضْحَى يُسِيرُ عِنْدَ اَوْلَادِ اَحْرِيزُ
فَالْقَبْضَا لَاؤُمُ اَفْعَمُرُ يَتَعَزَّرَا

- 16 لَوْ كَانَ الْقَىٰ يُزُوكَ فِي يَهُودَ امْزِمِزْ
وَلَا عِنْدَ الْكُنُوسِ فَالْبَرِّ يَتَحَرَّزَا
- 17 امْتَلِ فَارَ الْحَلَا إِلَىٰ خَلَا كَرَزِيزْ
وَمَشَىٰ عِنْدَ الْمَشَاشِ لَمَصَايِدَ لَعَزَا
- 18 اللَّهُ اللَّهُ قُلْتُ وَرَمَيْتُ الْفَرَزِيزْ
أَوْرِيَا مَا نَحَافُ تَوْصَلَنِي حَزَا
- 19 لِلَّهِ الْحَمْدُ مُلْكُنَا نُورُ الْيَرِيزْ
مَوْرُوثُ اِمْنِ السَّلَافِ دَائِمَ فَمَعَزَا
- 20 اَللّٰهُمَّ ابْجَاهْ مَنْ فَالْكُونِ اغْرِيزْ
طَهْ نُورُ الْكُونِ، وَلِيُوثُ الْبَهْرَا
- 21 وَاهْلُو وَابْعَاثُو هَلْ الْمَجْدُ اُتَمِّيزْ
وَجَمِيعُ اَهْلِ السَّرَازِ وَادْرِيسِ وَكَتَزَا
- 22 تَجْعَلْ لَفَرْتَسِيْسِ مَثَلُ الْبَرْتَقِيزْ
إِيْغَنُمُ فَالْبَلَادُ مَنْ بِهِ اسْتَهَزَا
- 23 مَنْ هَذَا مَا يَفْلَتُ عَنُقُو مَنْ لَكَرِيزْ
فَالْقَرْجُوطَا ارْجَعْتُ لِلْكَافِرِ لَزَا
- 24 هَذَا الْقَاعَا صَفَاتُ مَا حَتَجْتُ تَغْيِيزْ
وَضَحَىٰ خَبِلَ الْعَكِيدُ مَرْخُوفُ الْكُزَا
- 25 صَبَحَ الْكَافِرُ بِحَرِيَّتُو. مَضْرُوبُ فَيْطِيزْ
سَيْفُ الْقُدْرَا اَفْسَرَّتُو طَعَزُو طَعَزَا
- 26 هَاكَ الْعَزْلُ الرَّفِيقُ فَالْمَوْهُوبُ اغْرِيزْ
مَعَزُولُ اَفْسَاعَتْ الْعَزَا مَنْ ثَلَّتْ اجَزَا
- 27 لَا تَعْبَا بِالْهَمِيزِ وَلَا بِتَحْرِيزِ
فَالْعَرْبُ الَّتِي اَقْوَىٰ اِبْرَدُو بِالْوَكْزَا
- 28 سَبَقَ الْبَا وَحَمَلَ الرَّأ بَعْدَ الْمِيزِ
وَبَالِيَا اَكْمَالُهُمْ تَوْخِيزُ الْهَمْرَا

- 29 هَذَا تَوْهِيْبٌ مِّنْ أَقْصَى قَلْبِ الْهَمِيْزِ
مُوقْتٌ الْبِلَادُ عُنُوَانُو رَمَزَا
30 خُذْ افْتَحَرْ عَلَى الْعَدَا مِيْزُ أُتْرَمِيْزِ
وَأَفْهَمُ بَنَجَابَتْ الْعَقْلُ كَيْفَ التَّجْزَا
31 السَّرَّ إِلَى اخْفَاكَ شَوْفِ ارْتَابِ الْمِيْزِ
وَالْتَقْوَى مَا بَقِيَ افْتَقْوَا سَ الرُّزَا
32 — وَ لَا تَلْقَاهُ حَايِزُو مُوْلُ الْفَزَا

محمد بن عبد الله بن المبارك المسفيوي الموقت

نظرا لصعوبة شرح الكثير من كلمات هذه القصيدة، ارتأيت تقديم فهم عام لمعاني أبياتها.

- 1 — تحديد موضوع القصيدة، ونصح القارئ بتتبع معانيها، وجني فوائدها.
- 2 — اعتقد المحتل الفرنسي أن بإمكانه شراء ضماائر سكان غرب المغرب بالمال، وأن منهم من يبيع دينه بأقل شيء.
- 3، 4 — بهذا الظن المبني على غير أساس، قرر احتلال كليز، ليشرف منه على مراكش ويتحكم فيها، ويظل يوالي حملاته الترهيبية والترغيبية، غير متورع عن ارتكاب الفضائح في مراكش.
- 5 — سكان غرب المغرب حريصون حرصاً شديداً على بلادهم، لذلك لن يحقق الكافر شيئاً من مطامعه الاستغلالية.
- 6 — و لا صولة للمجرم بإثارة الفوضى وشن الحروب، ومثله مثل من يرغب في جز الماعز في سهول الغرب.
- 7 — غواه الشيطان وأضله، وقضت حكمة الله أن يأتي إلى المغرب ليرزأ وينكسر.
- 8، 9 — شجعه احتلاله لوهران بسهولة، واستيلائه على «توات» بدون مقاومة أهلها، فاعتقد أن الغرب عاجز هو الآخر عن المقاومة، وأنه سيتمكن من تحقيق أمانيه ومطامحه فيه.
- 10، 11، 12 — جعلت قدرة الله بالغرب دعائم قوية، واستعداداً دائماً للمدافعة والمغالبة طبع سكانه على الحرية والاستقلال، وطبع على الشجاعة والافدام والمبادرة.

- 13 — لن ينفعه تدبيره السيء، وتصوره خاطيء، ومحاولاته العائبة، ولن تبرأ جراحه في معاركه مع سكان الغرب.
- 14 — انفضحت أسراره في المعارك، وانكشف أمره، وظهرت حقيقته، فإذا هو دون ما يدعيه، وأقل مما يتظاهر به.
- 15 — وإن موته اليوم محقق، وهو في قبضة أولاد حرير بالشاوية.
- 16 — ولو كان استعطافه ليهود أمزميز الأذلاء يفلته من خزي العار وشماته الدول لما تردد في فعله.
- 17 — مثله مثل فأر الخلاء الذي ترك جحره الأمين وقصد القطط المترصدة له.
- 18 — لقد قلت كلامي البين الفاصل هذا (القصيدة) وأنا غير خائف من التبعات.
- 19 — مُلكنا مُلك خالص مجيد عزيز.
- 20، 21، 22 — اللهم بجاه الرسول وآله وأتباعه العقلاء الأماجد، وجميع الصالحين والمولى إدريس وأمه كنزة، اجعل الفرنسيين مثل البرتغال — في معركة وادي المخازن — لا ينالون بالسوء إلا من خان أهله ووطنه.
- 23، 24، 25 — هذه المرة لن يفلت الفرنسيون من الهزيمة النكراء، لقد قضى الأمر، وأصبح الكافر الجبان مطعوناً بحريته في دبره، وطعنته قدرة الله في سرته.
- 27 — لا تعبأ بوعيد الكافر وعيته، فالغرب يرد أقوى أعدائه بالوكزة.
- 26 وبقية الأبيات : فخر الناظم بقصيدته، ورمزه بالحروف لتاريخ إنشائها أو لمغزاها أو لشيء آخر وذكر اسمه والفخر برجاحة عقله.



حي مرس السلطان عام 1931 وعام 1953



الدرر البهية في مدح رجال الشاوية

عبد الهادي بناني الفاسي

هذا نص زجلي يزخر بقيم لغوية وتاريخية واجتماعية ووطنية، يشيد فيه الزجال عبد الهادي بناني الفاسي بقبائل الشاوية وجهادها للكفار، ويشهر بعض الخونة الذين هياؤا للقوات الفرنسية أسباب احتلال الشاوية. ويذكر الأسباب الظاهرة لانتفاضة الشاوية بشيء من التفصيل والدقة، وهو في هذا الجانب يتفق مع العديد من الروايات التاريخية في الموضوع.

كما يتحدث بمرارة وأسف وحسرة على احتلال وجدة من طرف القوات الفرنسية. ويدعو المغاربة إلى العمل بمجد وإخلاص لاستردادها.

ويختتم زجليته بمدح السلطان عبد الحفيظ، وبالثناء على مواقفه وطموحه وسياسته، وبال دعوة له بالتوفيق.

وقد أمدني بمتن هذه الزجلية العلامة محمد المنوي
جازاه الله عني خيرا.

الحمد لله وحده، وما يدوم إلا ملكه.

الدَّرُّرُ الْبَهِيَّةُ فِي مَدْحِ رَجَالِ الشَّائِيَّةِ

الحمد للغاني لا ينظروه لبصار حمد ليس ينتهي يا صاح فلعبارا⁽¹⁾
ودنا بالهادي طه شريق لنوار ايمام لوجود الماحي بازغ المنارا
الصلاة عليه من الله ليل ونهار والرضا عن آلو واهلو هل الطهارا
والصحاب الود بالمطهرين تطهار من فناوا الكفار رسياتل الغزارا

بالجهاد اشتغلوا ومضوا فيه لعمار
يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار
سبت هذا الفتان فالضي اديجور بها ناس العقول لفضال نخير
ناض الكافر بالعزم يصنع بابور يعين على المون وينقل الحجر⁽²⁾
حط السكه وسار، يخدم ظلم وجور حتى فات الحدود وطغى وتجير
قام عليه الهراج وتفلس وخسر⁽³⁾

مشى يغيب ورجع قل الكنوس عجلان
رتب العسه باش ينال كل أمان
بليطر حركت لو من كل جيه شجعان
فيه قتلوا عدد الاخشو من عار
له حلفوا ثم لا ضار قدما دار
يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار
أنزل ولد الحرام بجنود كثيرا
أنوا يكون لهم عز ودخيرا
وترن غير جر بهم لحصيرا
حتى صاروا يحدثوا هاذي فيضا⁽⁸⁾
ولا علا من العلات عريضا

بدا يحارب الحرامي كل يوم قتال
غربت شمسو من بعد الطلوع ونضال
كل يوم يجيب محله هبيل هبال
نوض السلطان يعينو وشاع لخبار
طاح ميمون الكفر اكبار وصغار
يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار
كم من كافر للرباط دخل عريان
فروا وتفرقوا على جميع البلدان
عبادين لوثنان يسهلوا لمحان
لين ما رد الراس فساعتو يولي⁽⁹⁾
طاحت سوارو وبقي فالفضا مئلي⁽¹⁰⁾
جاح وبقي فهموم محابنو مئلي⁽¹¹⁾
غلب الله الشاوية على النصرا
صادف لمحان ولفتان ولخسارا
بالجهاد فلجحد خنازر النصرا
هاذي هانه وليس تشبها هانا⁽¹²⁾
ارهوط كثار جات منهم عريانا
والدق على الاضغان لكشوط عدانا⁽¹³⁾
فوق نقيموا على الكوارش شعبانا⁽¹⁴⁾

اجتمعت الروم وقالوا نكثرو العداد
نحوز قصبت مديونه يطيب المراد
جمع قاوى ما ينتهي ولا يلوحده⁽¹⁵⁾
عاد لحكام نقولو فيدنا تسكد⁽¹⁶⁾

جاو بالحيلات ودخلوا لها لفساد
 زاد فلحين لقصبت بن رشيد بطار
 جاو بعض الشاويه ينصحو الغدار
 خرجوه بحيلات الا نوى الكارا⁽¹⁷⁾
 يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار
 بالجهاد فلجحدو خنازر النصارا
 خرجوا به اللثيم فلحين للمحج ونوى
 يمشي سريع قاصد مراکش
 جهاز مونه وجاب كل ما يحتاج وترن
 جا على المحين كيفتش
 أوصل لو عار بين لحنادق فالفج دارت
 به لبطل وتفاها ودهش⁽¹⁹⁾
 وبقي بينهم تالف كيف الوحش

سارت القوم تكرر فلكلاب تكرر
 ما نفهم لا عد وعُدّه ولا مدافع
 نزلوا لمكاحل ذاك النهار الكبير
 والمولي عنهم عيا و ما يدافع
 جات منهم فذئاب الخيل كم من يسير
 شوف نجم الدين فبرج السعود طالع⁽²⁰⁾
 درموا زادوا لسطات يا حضار
 بعدما قاستهم من قبلها خسارا⁽²¹⁾
 زاد عمر السكتاني سريع غبار
 حوز البنديره بلميز والشطارا⁽²²⁾
 يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار
 بالجهاد فلجحدو خنازر النصارا
 اخوا يا من تسأل لقصاي ورجع
 هلا يلقيه خير لحقير الكاشف⁽²³⁾
 وادخل فجواه بالقهر من بعد دلع
 تحطم عرشو وماه لحنالا ناشف⁽²⁴⁾
 والبس ثوب الحزان عاجل واتقمع
 ما نفعتو قبيح لفعال مناصف
 وارجع كيد فنحر هولوا صادف

جاح (درود) ما نفدا عنهم بأموال
 ولا يوجدوا مثل ولد الزنا فباريز⁽²⁵⁾
 كان الحرامي فصّوكه يدير حيال
 مع مشاكل ونواعر حير هل الميز⁽²⁶⁾
 خلفو (داماد) فعوض جميع لرذال
 وليس جاب الخبر على ولاد حرير⁽²⁷⁾
 أبدا يقاتل لعدو ما طلع له شي نيار
 كل يوم يخلى شضيه فوسط كارا⁽²⁸⁾
 من مدافع وسلاح كثير ما ينحصر
 والمجارح والموتى مالها عبارا⁽²⁹⁾
 يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار
 بالجهاد فلجحدو خنازر النصارا
 وما خلا ومن كراس د القرتاس
 وما خلاو من مدافع ومهارز⁽³⁰⁾
 وما خلا ومن خوارج في تهراس
 وما خلاو فلبطاح من كنايز
 وما خلاو من شمارر ما تقاس
 وما من راس من الكسدا يتفرز⁽³¹⁾
 حين بدات البطال فيهم تغير⁽³¹⁾

لو نظرت ما بهم صار من الأفات
يا لها من صوكة عدات كل صوكات
يا ندامتهم على فعلهم لوشات
ابقو مليونين فلكرار صادف نار
وزعوهم للكلاب أمن تسال وطيار
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار
لبروص على الدوام فيهم تشفى
سمع لفرنصيص وحزن واتقفى
جرحو محال كان باقي يترقى
لكن كان الخبيث بلسان شيط⁽³⁸⁾

أشحال ما خوفنا^١ الكوازطى فجرنان
كل جمعه يأتي بجريدتو أخوان
كلها موفقات الدين الشيطان
كيخوفنا من لفرانصيص لحمار
ماقرا حرمه ما عند الكل توقار
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار
لوريتي كيف كان لحرامي يفرح
واصبح ذاك النهار مسرور مطرح
وجده دار الاسلام صغ كلام الصبح
وعدوها في ترابها يضحى مخبوط⁽⁴⁵⁾

وين سيدي يحيى سلطانها الامير
وين الصالحين رجالها هل الخير
واش ما عار عليكم يا كنوز لفقير
يا سيوف الوهاب فجوا هذ لغيار
وعدها خلانا تمثيل فارق الدار
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار
واجب لبكا على دخولك يا وجده

ريت سر مصباح العارفين ظاهر
وين السيد عقبه راحت الخواطر
مشات وجده فحماكم حازها الكافر
يا هل العطفه والبرهان وليغار⁽⁴⁶⁾
غايبين بالهموم عقولنا سكارا
بالجهاد فلجحد خنازر النصارا
أبكى يا درت اليها بدموع الدم

دخلوك بلا محارب لامت لعدا دخله فلحين باردا دون صوارم⁽⁴⁷⁾
هاذي شده أوليس تشبهها شده لكن نرجى الكريم لجليل العالم
يهلك فقريب هذا لجحيد الظالم

جاوبتني بلسان الحال عند لمقال فالنسا لعدرا لو جيب بصوت عالي
تاه بنو آدم مع القماش والمال ولا فعل باش ما أمر ربنا العالي
فين خيولي ورجالي كهول وطفال وين براجي وين مدافعي ومالي
وين السكان فقربي وكل جوار ما نظرت فلورا من جابت إغارا
وين بنى يزناسن ياك غير لحرار وين بنى جيل اعربان والمصحارا
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحد خنازر النصارا
نهضوا يا هل الشرق تغزو فلعدو قوموا لله كلکم فساق الجد
هذا الكافر عنکم ادفع جهدو وعيون القلب ساهيا وغشاها رمد
قويو ايمانکم للحرب ازيسد عرفوا من مات منکم مات مشهد
مغفور الذنب ساكن فجنات الخلد

شف لفضال الشاويه. هل النجادا أشحال هذا من شهر مقابلين للروم
شف لفضال الشاويه فزيادا عانهم بفضل رب الورى القيوم
شف لفضال الشاويه فخرق عادا كل هزير منهم يوم اللطام محزوم
اشتبهوا بهم يا ناس الوفا ولسرار فجهاد تفوزو بالعز والتيارا
سلمو فلکلاب هل الشقا أو لشرار إيلا أنتم بغيتو تبغو فلعمارا
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحد خنازر النصارا
شوفوا جميع الفحول قام للجهاد يا سعد الي نجا لهم قام بجهاد
نصروا دين الاسلام وغزوا الجحد وأصبح لفرنصيص محفور وناكد⁽⁴⁸⁾
ماروح طابلا ونعمى من تهاد وامداد المومنين باقى فزاييد
واطلع بدر الاسلام بنوارو واقد

اش وامن لازا لبطل وقت لقتال امجردا من لكساوي غير فالسراول⁽⁴⁹⁾
على الخيول المعتبرا يا الفاهم رجال بالزرايم وسيوف حداد والسبايل⁽⁵⁰⁾
الاسياد وجوه الجنا شمس لنجال امثيل هادو تفخر بهم القبائل
جاهدوا فالكافر وسقوا له لمرار روحه ميسر في حومت السقارا⁽⁵¹⁾
ماقراشي هادي وعمات له لبصار عمرو من هادي لجحيد لاتوارا⁽⁵²⁾

يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار
 صولي يادرت الجمال الشاوية لك النصر والاسرار والعنايا⁽⁵³⁾
 حزت لقبول والحسان المزايا لأنك بقعه مشرفه فيك منايا
 اتغبطك ساير المدون وياديا اتبختر بالقاصرا روح حشايا
 فحول العز يامرامي وغنايا

ياالشاوية فيك رجال ما تتوجد ياالشاوية فالهزا مثيل الأسود
 ياالشاوية مشموره فيوم لعناد ياالشاوية تهزم فاللطاع الحسود⁽⁵⁴⁾
 ياالشاوية يسبو لقرباب وبعاد ياالشاوية شرفهم رب لوجود
 ياالشاوية صول على جميع لقطار ياالشاوية بهم حلت لبشارا
 ياالشاوية جر الذيل ليل ونهار ياالشاوية ناسك حازت اتمارا
 يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار بالجهاد فالجحود خنازر النصارا
 يا رب ياالرسول وايات القرآن والزهر الطاهره والحسن والحسين
 انصر دين الاسلام عن ساير لديان وانصر يا ذا الجلال جيش المسلمين
 واهزم جند الجحود يا عظيم الشأن نتوسل بك لك يا نعم المعين
 فرج هذا الهموم واحمنا فالحين

ودوم سلطاني سيف الحق نور للمحاذ روح ذاتي لمجد مولاي عبد الحفيظ
 قام بالجهاد الملك طيب لغراض رايت لسلام رفعها كاظم الغيظ
 اهامم ولد همام يترك لعدا فيتبعاض اشريف علوي بحرو بالمواهب فيفيض
 به يفخر جيل وراجيل زهر لحواض قام بشروط الملك المير ناهض نهيض
 سار سيره حسنه يالفاهم وناض على شريعت جدو فتح كل تغميض
 واش رامن لازاه على الكشوط مغتاض والبطال تشالي فلحرب خف من
 فيض⁽⁵⁶⁾

يحرض المسلمين على الجهاد تحراض له باع فساير لفنون واضح عريض
 له لهما عهود صحاح ليس تنقاض إذا يقول يوافي فوق الظنون ويعيظ
 كلمتو مسموعة قوت لقلوب لمرض آه عني من وحش بهاه ساقم مريض
 قام بالسنه والكتاب زال لحواض لك فوض امرو ياذا الجلال تفويض
 خذ بيدو انصر المجد يحفاض إذ خيلك يمام الاسال بالحفيظ
 هاك حلا فطريز الفن بالحفاظ بنت لفكار ادريسيه نهد لبغيض

اكثرت المعاني ومنقحه فللفاظ يا نديم تغنى بها وصون لفريض
والسلام نهب ما فاح طيب لزهار على الاشراف أولاد الزهرا هل ليغارا⁽⁵⁷⁾
قال عبد الهادي يرجى عفو الستار الزكي لمشوق للحج والزيارا
نظم : عبد الهادي بناني

هوامش الدرر البهية



- (1) العبارة : العبرة.
- (2) المون : امتداد برى مرصف في البحر (ميناء).
- (3) الهراج : الاحتجاج، الفوضى
تفلس : انكسر، اندحر.
- (4) الكنوس : الأجناس.
- (5) رتب : نظم، أقام.
- (6) بليطر : بسرعة
جيه : جهة.
- ريتلوا : قلبوا أعاليها أسافلها.
- عبوا : أخذوا.
- (7) الزمام : الكتابة، التسجيل
تمثيل : مثل.
- (8) وترن : يبدو أنه
فيضاً : كثرة
- (9) رد الراس : اتجه
فساعتو : سرعان ما.
- (10) متلي : متأخر.
- (11) يجيب : يأتي
محلّه : دفعة عسكرية. جاح : خسر.
- (12) هانه : إهانة
- (13) يسهلوا : يستأهلون، يستحقون.
- الاضغان : الازدقان
- لكشوط : عديمي الفائدة، الازدال.

- 14) الكوارش : ج كرش أو ج كاروش وهو البغل
شعبانا : شعبانة محرفة، أو الاحتفال في شعبان اختتاماً لأيام اللهو واستعداداً لاستقبال
رمضان أو الاحتفال عموماً.
- 15) ولا يلوحده : وليس له حد.
- 16) قصبة مديونة : قرية على بعد 20 كلم من الدار البيضاء شرقاً.
تسكد : صدم، خاب أمله.
- 17) قصبة بن رشيد : مدينة برشيد.
بطار : سريع
عمسار : طلقة بارود أو رصاص.
- 18) الكارا : مدينة وسط قبيلة المذاكرة، تبعد عن برشيد بحوالي 30 كلم في الشمال الشرقي.
- 19) تفافا : ارتبك، اضطرب.
- 20) يسير : أسير.
- 21) درمو : اقتحموا، اندفعوا مغامرين.
قاستهم : أصدبتهم.
- 22) عمر السكتاني : الحاج عمر دويديو شيخ الرماية ومقدم الركب في أولاد حريز اشتهر بعمالته
للجيوش الفرنسية في ذلك الحين، ونال لديها الخطوة لما قدمه لها من تسهيلات لاحتلال
الشاوية، خاصة ما بين الدار البيضاء وسطات.
البنديرة : الراية.
- 23) الكاشف : المنافق، الزائف.
- 24) ادخل فجواه : خاب مسعاه، فاستكان.
دلح : طغى، تاه.
- 25) درود : جنرال، قائد الأسطول الفرنسي الذي وصل إلى الدار البيضاء في 7 غشت 1907
واحتلها ثم احتل مديونة في فاتح يناير 1908.
- 26) الصوكا : الهجمة، الاغارة.
- 27) داماد : جنرال حل محل الجنرال درود في 5 يناير 1908، وسع العمليات العسكرية
بالشاوية فاحتل سطات مفتاح الجذب وأزمور باب دكالة والسواحل الغربية الجنوبية التي لم
يثنه عنها إلا احتجاج المانيا الشديد، فاضطر إلى سحب قواته إلى ما وراء نهر أم الربيع.
- 28) نيار : زناد البندقية.
يخلي : يترك.
- كذرة : جماعة سكنية، دوار...
- 29) ما ينحصر : لا حصر له.
ما لها عبارة : ليس لها حد.
- 30) كراوس : عربات.

- (31) شمارر : ج. شمير، قبة (شاشية)
الكسنا : الجذع، الجسد بدون رأس.
- (32) تغير : تسحق، تبيد.
- (33) الكرار : الخلاء.
- (34) الحاره : جهنم.
- (35) فشطه : (أو فشطه) : احتفال.
- (36) اتقفى : انقلب، انهزم.
- نسقط : سقط، لم يبق له اعتبار عند الدول.
- (37) يترفى : يرفأ.
- (38) شيط : بذى، متسلط.
- (39) الكواظمي : لعله (وديع كرم)، رئيس تحرير جريدة «السماعة»، الناطقة بلسان الحماية الفرنسية.
- (40) شينا : شائنة.
- (41) إمارة : علامة.
- (42) كانت فرنسا تتطلع إلى احتلال وجدة للوصول إلى المنوية على أساس أن الحدود الجزائرية المغربية لا تدخل ضمن ميثاق الجزيرة (المسألة المغربية : 354) وبعد قتل العامة بمراكش للدكتور موشان اغتنمت القوات الفرنسية هذه الفرصة واحتلت وجدة في 29 مارس 1907.
- (43) مطرح : مستريح. مطمئن.
طازو : أعجبه.
المزلوط : الفقير المعدم.
- (44) شروط فرنسا للجلء عن (وجدة) :
- «1 — عزل باشا مراكش (عبد السلام الورزازي) واحضاره إلى طنجة، وسجنه فيها حتى يحدد التحقيق مدى مسؤوليته.
- 2 — إجراء تحقيق في مراكش يقوم به قنصل فرنسا في موغادور (الصويرة) على أن تقدم له السلطات المغربية التسهيلات للقيام بهذه المهمة.
- 3 — معاقبة الجناة.
- 4 — دفع غرامة لعائلة القتيل، وتعويض الحكومة الافرنسية نظراً للصفة الرسمية التي كان يتمتع بها الفقيد.
- 5 — تنفيذ التدابير التي طالما طالبت بها فرنسا في السابق دون أن تتمكن من الحصول عليها بالنسبة لكل الاعتداءات والأحداث العديدة السابقة.

6 — تطبيق اتفاقات الحدود سنة 1901 و1902.

7 — تنظيم البوليس الذي نص عليه ميثاق الجزيرة فوراً، وذلك بإعطاء وزير الحرب (الجياص) السلطات اللازمة لهذا الغرض.

8 — استدعاء مولاي ادريس (ابن عم مولاي عبد العزيز) مبعوث الحكومة المغربية في منطقة الأدرار، الذي تعبهو الحكومة الفرنسية مسؤولاً عن التحريض ضد فرنسا في موريتانيا والأدرار.

9 — التوقف عن امداد ماء العينين بالأسلحة». (المسألة المغربية 354.355).

45) مخبوط : مطروح.

« سيدي يحيى وسيدي عقبة وليان صالحان بوجدة.

46) فجوا : فرجوا، أزالوا.

نغيار : الغمة، النكبة.

47) لامت : جماعة.

48) محفور : مفسور.

49) مجرد : متجرد من الثياب.

50) المعتبرا : الجيدة.

الزرايم : عصي ذات رؤوس حادة

السبايل : (ج سبولة) خناجر.

51) السقارا : سقر، جهنم.

52) لاتوارا : لا طلوع لنجمه بعد هذه.

53) العنايا : الأنفة، الرفعة.

54) مشمورة : مستعدة.

55) اقمارة : الرصانة، العزة..

56) تشالي : تلوح، ترفرف.

57) هل ليغارا : رجال الصلاح في البلاد.

دالية الطاهر بن محمد الإفرائي

1374 — 1284

وفد الشاعر على العلامة الحاج أحمد الجيثيمي سنة 1325 / 1907 في ظرف اعتكرت فيه أجواء المغرب بسبب احتلال «وجدة» ثم «الدار البيضاء». فمدحه بقصيدة دالية طويلة، استنھض في جزء كبير منها، الھمم لائتھاد رجال الشاوية المقاومين للاحتلال الفرنسي.

يقول في مطلعھا :

أبرق بدا أم لمع ثغر منضد وغيث هسي، أم قطر دمع مبرد
ثم يقول بشأن احتلال الشاوية :

فيا بدر أفق الدين، ويا ليث غابه ويا غوث ملهوف، ويا خير منجد
وهي واردة بكاملھا في المعسول 6 / 109 — 115.

فيا بدر أفق الدين يا ليث غابه ويا غوث ملهوف ويا خير منجد
تدارك ذماء الدين واسمع صرخه وثمر إلى نصر الهدى وتجلد⁽¹⁾
فقد انشب الكفر المداھن نابه ومد إلى سرح الهدى كف مفسد⁽²⁾
وكاد بأنواع المكاييد أهله وصار ينادى : (خامرى وتلبدى)⁽³⁾
أسر احتساء في ارتقاء وما له سوى الدين من مرمى يرام ومقصد⁽⁴⁾
وقد بلغ السيل الزبى بظهوره وإن لم يداو العر بالكي يزد⁽⁵⁾
فقد طبق الصحراء بالنحس شؤمه واعدى نواحى التل بالخبث الردى⁽⁶⁾
وجاش على هذى السواحل كلها ببحر سفين بالقوارب مزبد⁽⁷⁾
وغص به الدين الخفيفى فاكتسى لما يشتكى من بثه ثوب مكمد
شجاه الأسى من فقد حر يهमे فكاك ذماه من يد المتمرد⁽⁸⁾
يقود إليه كل اصيد قارم للحم العدا مخشوشن متمعدد⁽⁹⁾
يجاهد في الله العظيم عدوه بإقدام ليث في الكربة محرد⁽¹⁰⁾
يشب لظى الهيجا بقلب مشيع وكف بصير بالقلعان معود⁽¹¹⁾

واطراق ثعبان وكيد ثعالفة
 ويختال ما بين الصفوف كأنه
 على كل طرف سابح ومطهم
 ببيض سيوف أو بسمر مدافع
 يلاعب أطراف الرماح كأنه
 يخال مجال الحرب وجه صحيفة
 فينقط مدافع ويشكل صارم
 فأين مساعير الوغى وفوارس الل
 وأين الالى صوت الصرير اليهم
 وأين الالى قد الجسم عليهم
 فما لهم ناموا عن الدين وارتضوا
 وما لهم لم يثاروه وقد هوى
 لقد حق للإسلام إذ مات أهله
 فقدس أرواح بهم عز ركنه
 وأخصب مرعاه وأشكر ضربه
 بأسياقهم صال الهدى فتعززت
 تروح وتغدو كل يوم بشارة
 إلى أن علا في الشرق والغرب كعبه
 وكرت جيوش الصبح منه ففر إذ
 وأهلك حزب الله حزب عدوه
 أولئك قد باعوا الاله نفوسهم
 هم الصحب والأتباع من بعدهم ومن
 هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا
 وهم هجروا الأوطان والأهل فاغتدوا
 وهم جاهدوا في الله حق جهاده
 عليه صلاة الله ثم عليهم
 فلما مضوا نحو الجنان ليجتتوا
 أتى بعدهم من لا يغار على ذما
 جهادهم في رم دنياهم وما
 وتصميم فهد في جراه فوهده⁽¹²⁾
 عروس تهادى بين خود وخرد⁽¹³⁾
 قوى القرى عبل كصرح ممر⁽¹⁴⁾
 مزلزلة إن يرق السيف ترعد⁽¹⁵⁾
 صى مع الولدان بالجوز مستد⁽¹⁶⁾
 تسطرها خيل اللقا بالتطرد⁽¹⁷⁾
 ويكتب ربح الخط خط مجود⁽¹⁸⁾
 ققا ومصاييح العجاج المعقد⁽¹⁹⁾
 ألد وأشهى من سلافة صرخد⁽²⁰⁾
 هباء إذا ما العرض غير مقدد
 بدون حياة في هوان معبد⁽²¹⁾
 به الكفر مطلول الدماء ولم يد⁽²²⁾
 وخلوه أن يدعو بويل مرد
 ونام إلى جنب المهدي الموسد⁽²³⁾
 وعاش بهم في خفض عيش مرغد⁽²⁴⁾
 جوانبه بالنصر في كل مشهد
 عليه بفتح أو بملك مجدد
 وحل حلول الشمس في كل معهد
 بدا كل جيش من دجا الكفر أسود
 وطهرت الأرجاء من كل ملحد
 فلم يستقبلوا بالنعيم المؤبد⁽²⁵⁾
 حذا حذوهم من كل هاد ومرشد⁽²⁶⁾
 أجابوا لحرب أو لإنجاز موعد
 لقتل عدو الله في كل مرصد
 وهم نصروا دين النبي محمد
 كما هب شمال على الزهر الندى
 جناهم وعند الصبح من يسر يحمد⁽²⁷⁾
 ردين ولا يرئى له أن يبدد⁽²⁸⁾
 لهم همة في جبر دين مقصد⁽²⁹⁾

إذا سمعوا لغوا أصاخوا وإن دعوا
 كأن لم يكن فيهم عديد ولم يكن
 كأن لم يدقوا بينهم عطر منشم
 ولم يرضعوا من أمهم أم قشعم
 ولم تغذهم بالشرى حتى كأنه
 بلى مارسوا الحرب العوان وضرسوا
 وما برحت حرب البسوس عليهم
 كأنهم من عكفهم حول نارها
 مجوس عكوف حول بيت لظاهم
 ولكنهم ضلوا عن القصد غفلة
 فلو نهوا لاستيقظوا وتبصروا
 فقم يا لسان الدين وادع إلى سبي
 وناد عباد الله مستصرخا وسر
 وقص لهم ما في الجهاد وما روى
 وعدهم باحدى الحسنين مبشرا
 فأنت الامام المقتدى بفعاله
 فقد وقع الاسلام من خوفه على
 فصار ينادى مستغيثا بأهله
 ومثلك أن يسمع شكية مثله
 يغيثه ويشكه ويسل ويسعد

(30) لدين الهدى صدوا صدود المعرد
 لهم جلد يسطو على كل أيد (31)
 ولم يرتدوا منه بثوب مجسد (32)
 لبان دم أن يمر يشخب ويزبد (33)
 أحب إليهم من سلافة صرخد (34)
 بها كلهم ما بين كهل وامرد (35)
 مدى الدهر لم تحمد ولم تتهمد (36)
 يحشونها في كل غور وانجد (37)
 يحفونها من راكعين وسجد
 وجهلا بنهج الرشدا لا عن تعمد
 فمن تقيد نحو الفوز لا بد ينقد
 ل ربك بالحكم الصريح المؤيد
 بسيرتك المثلى تعن وتسود
 رواة الحديث الغض من كل مسند
 فإما بنصر أو بأكرم مقعد
 وأنت الذى يرجى لهم مُهْدَد
 بقايا بنيه في مقيم ومقعد (38)
 إلا من لعان في وثاق مقيد
 ومثلك أن يسمع شكية مثله

(1) الذماء كسحاب : بقية من الحياة بعد نفاذ المقاتل لا تلبث أن تنقضي.

والصرخ : المستغيث.

(2) المداهن : المخادع المحتال. والسرحة : الماشية.

(3) (خامرى أم عامر) مثل. وتزعم العرب أن الضبع تخدع به فيكرر لها حتى تهدأ فتؤخذ.
 ومعنى خامرى : ألزمت مكانك. وتلبدى عطف تفسير عليه من نلبد الطائر إذا جثم ولصق بالأرض.

(4) أسر : أخفى. والاحتساء الشرب. والارتغاء : ازالة الرغبة من اللبن ومعنى المثل أنه يتظاهر بازالة الرغبة ولكنه في الواقع يشرب اللبن الخالص ويضرب لمن يتظاهر بالهين ويفعل الأعظم.

- 5) الزنى، جمع زنية وهي حفرة تهباً للأسد في الأمكنة العالية؛ يضرب لمن تجاوز الحد. والعر : الجرب.
- 6) النثل في اللغة الأرض المرتفعة قليلا عما حوّلها. والمراد هنا (سوس) في لسان أهل الصحراء.
- 7) السفين : جمع سفينة.
- 8) شجاء : أحزنه، والأسى : الحزن. وذماه : ذماؤه. فهو الذماء قصره. ضرورة : وهو بقية الروح.
- 9) الأصيد : المائل العنق تكبرا. والقرم إلى اللحم : مشتهيه. والخشوشن : متعود الخشونة. والمتعمد : المتخلق بأخلاق قبيلة معد في الخشونة.
- 10) المخرد كمنبر : المغضب.
- 11) جرىء.
- 12) ثعالة : الثعلب.
- 13) الخود بفتح الدال وجمعها خود بضم الخاء؛ والمفرد جمع خريدة : المرأة الحية.
- 14) القرى : الظهر. والعيل : الضخم.
- 15) تزلزل الأرض إذا أطلقت.
- 16) استدى الصبى بالجون : لعب به.
- 17) التطرد : المطاردة أي حمل الاقران بعضهم على بعض.
- 18) رمع الخط إضافة إلى بلاد الخط وهي معروفة باتقان صنع الرماح. وخط مجود مفعول يكتب.
- 19) مسعر الحرب بكسر الميم : موقدها بشجاعته.
- 20) الصرخ : المستغيث. والسلافة : الخمر. وصرخد بلا لأم : بلد بالشام تنسب لها الخمر.
- 21) بدون حياة فيه إضافة الصفة إلى الموصوف أي الحياة الدون ومعناها الوضيعة. ومعبد بصيغة اسم الفاعل صفة لهوان : أي الهوان الذي يجعل صاحبه عبدا لغيره.
- 22) ثار القتل والقتيل : طالب بدمه؛ والمطلوب الدم : الذي لم يثار له. ولم يده : لم يؤد دية.
- 23) المهدي : بتخفيف همزة المهديء. والموسد : الجاعل للوسادة.
- 24) أشكر الضرع امتلاؤا لبنا فهو شكران.
- 25) يشير إلى قول الله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) الآية 111 سورة التوبة، بقيتها : «..وأموالهم بأن لهم الجنة..».
- 26) حذا حذوه : اتخذ مثالا وقدوة.
- 27) تلميح إلى المثل المعروف : (عند الصباح يحمد القوم السرى) أي ثمة التعب تظهر بعد انتهائه يضرب تحريضا على الصبر للمشاق.
- 28) الذمار بالكسر : ما يلزم الانسان حفظه ورعايته.
- 29) المقصد بصيغة اسم المفعول مضعفا : المكسر.

- (30) المعرد بصيغة اسم الفاعل : المنحرف عن مثل الحرب كالحارب.
- (31) الأيد : القوى.
- (32) يقال أنه كانت بمكة امرأة تسمى منشم بفتح الميم وكسر الشين : عطارة في مكة. وكانوا إذا أرادوا القتال وتطيبوا بطيها كثرت القتلى فصاروا يتشاءمون بعطرها حتى ضربوا المثل (دقوا بينهم عطر منشم) لشؤمها.
- (33) المراد بأمر قشعم هنا الحرب. ومرى الضرع يمر به إذا دلكه بيده ليدر لبنه وشخب اللبن سال.
- (34) الشرى : الحنظل. وصرخد : بند بالشام تنسب إليها الخمر الجيدة.
- (35) الحرب العوان : هي التي تكرر القتال فيها وهي أشد الحروب. شبهوا بالمرأة العوان التي ناصفت سنها فتكون بذلك على خيرة. يقال ضرسه الدهر أو الخطوب أو الحرب إذا اشتد عليه.
- (36) حرب البسوس : هي الحرب العربية العظيمة التي طال بينهم طولاً جعلها مضرب الأمثال.
- (37) حش النار : أوقدها. والغور المكان المنخفض. والانجد جمع نجد : المكان المرتفع.
- (38) يقال وقع فلان في المقيم المعقد : أي في المهم الذي لا يدع راحة ولا استقراراً.



الباب البحري، على مقربة من رصيف الانزال.



- شارع مولاي الحسن الأول، عام 1913 وعام 1956





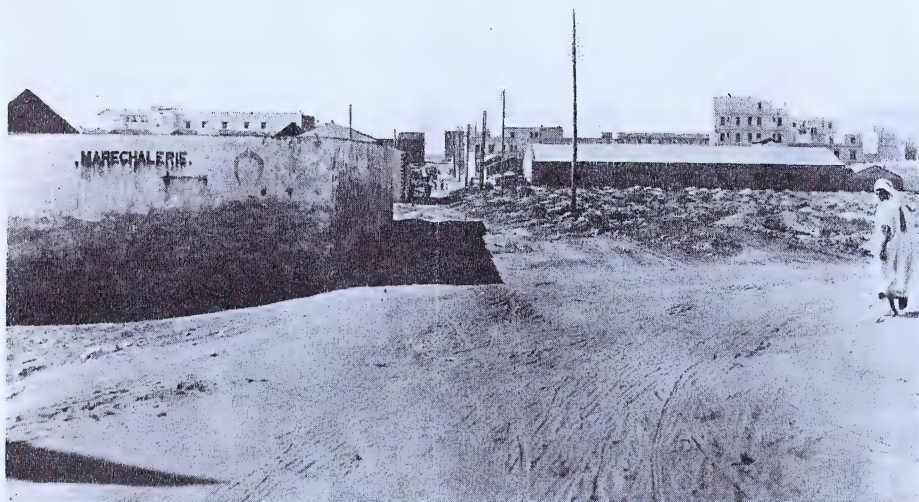
- زنقة إدريس الحريزي، عام 1923 وعام 1956 (وتبدو بناية البريد المركزي وسط الصورة)



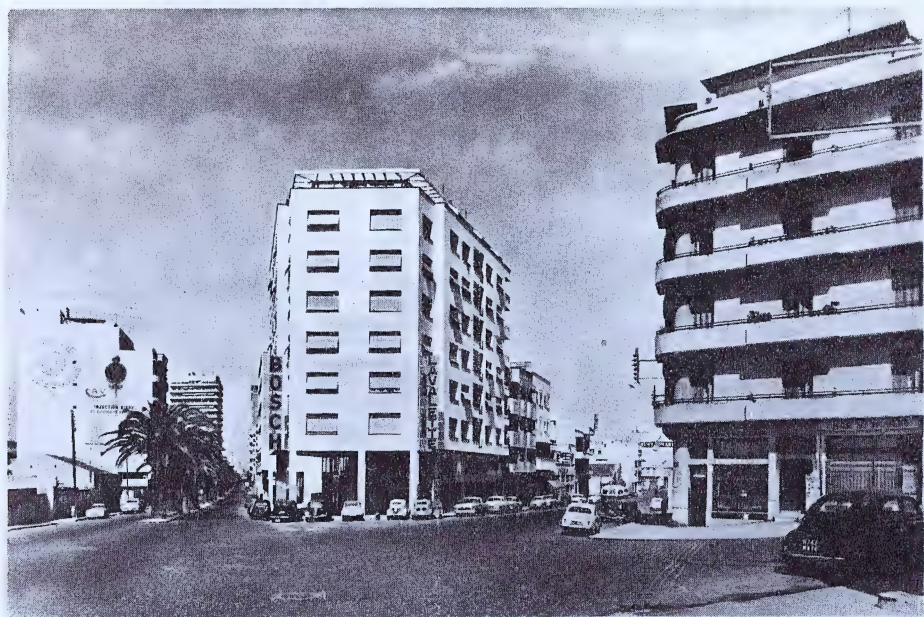


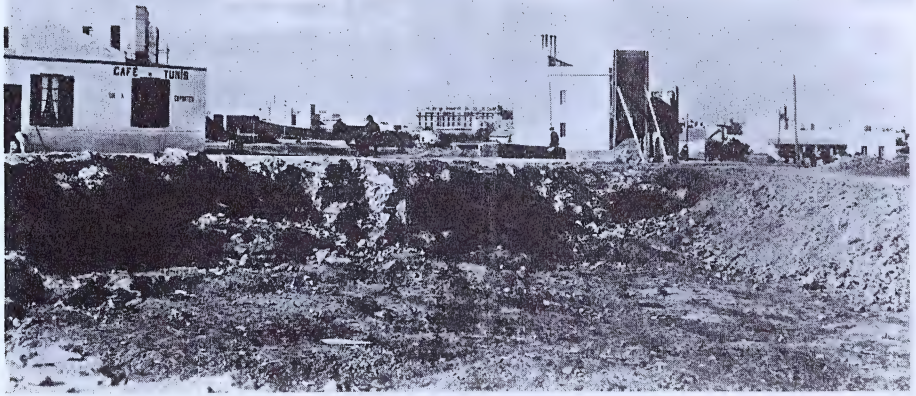
- شارع الحسن الثاني، عام 1916، وعام 1956





- ملتقى زنقة كراتشي وزنقة محمد سميحة، (درب عمر)، عامي 1922
و1956.



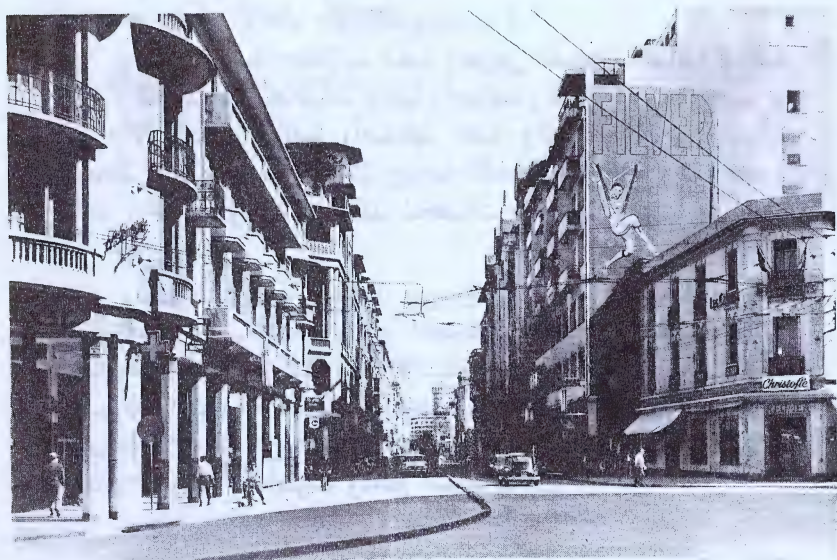


- شارع محمد الخامس (من جهة السوق المركزي)، عام 1915، ثم عام 1953





- شارع محمد الخامس (جهة البداية)، عام 1921 وعام 1956.



نداء

إن احتلال القوات الفرنسية والاسبانية لمدينة الدار البيضاء في 5 غشت 1907 حدث تاريخي بالغ الأهمية بالنسبة لتاريخ المغرب الحديث، فهو بالإضافة إلى مغزاه السياسي الخطير، كان منطلقا لاحتلال مراكش وفاس والاطلس وبقية المناطق المغربية.

وحدث مثل هذا في الأهمية، جدير بأن تحيي الأمة ذكره السنوية بانتظام، لاجتماع ثمرات عبء السياسة والتاريخية والحضارية، ليظل حاضرا في ذاكرة شبيبتها، فاعلا في حاضرها ومستقبلها، عامل وقاية ومنعة ضد كل أنواع الغزو والاعتداء.

لذا أدعو — بكل إخلاص — بمناسبة صدور هذا الكتيب، جماعة سيدي أبي الليوث (سيدي بليوط)، وولاية الدار البيضاء الكبرى، إلى تنظيم الذكريات السنوية لانتفاضة الشاوية واحتلال الدار البيضاء، وإطلاق أسماء شهداء الانتفاضة والشخصيات التي كانت لها بها علاقة من قريب أو بعيد، على ساحات تراب الجماعة وحدائقها وفسحاتها وأزقتها ومؤسساتها ومرافقها، وإقامة لوحات رمزية ومآثر عمرانية وفنية في حدائقها وساحاتها تحلله الانتفاضة، وتذكر الاجيال بالاحتلال.

وتنظم بالمناسبة احتفالات شعبية ومعارض للمصحف الصادرة في تلك الفترة، وتقام ندوات ومحاضرات تاريخية واجتماعية وأدبية تكشف الحجب عن أصول الانتفاضة وحقائقها وأصدائها المحلية والوطنية والقومية والدولية. وتستحضر أجواء حادث الاحتلال ومرامييه الاستعمارية ونتائجه وردود فعله في الداخل والخارج، ويستدعى لذلك شخصيات متخصصة ومهتمة من المغرب ومن الخارج.

وتنظم المسابقات الثقافية، من أبحاث تاريخية واجتماعية وسياسية وقصص ومسرحيات وأشعار ونوادير المخطوطات والرسائل والخطب والوثائق، وترصد لها جوائز. وتواكب هذه الأنشطة الثقافية وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، مع حرصها على إعداد برامج موازية تقدم خلالها شهادات، وتجري مقابلات مع من شهد الاحداث. وتصدر بمناسبة الذكريات كتيبات وأعمال الندوات والمحاضرات ونتائج المسابقات. □

أحمد زيايدي

المحتويات

الاهداء

5	مقدمة
---	-------------

1 — الانتفاضة، تاريخيا

09	أسباب الانتفاضة
11	— العوامل المحلية الخاصة
13	— العوامل الوطنية
16	إرهاصات الانتفاضة
17	وقائع الانتفاضة
20	انتفاضة الشاوية بين الوطنية والفوضى
23	نتائجها السلبية
24	نتائجها الايجابية
27	المصادر والمراجع
29	الهوامش

2 — وثائق تاريخية

37	رسالة
41	نص من المفاكهة
49	واقعة الدار البيضاء
53	احتلال الدار البيضاء
59	نص من المعسول
	محمد المختار السوسي

3 — ملاحق أدبية :

63	رسالة إلى المجاهدين بالشاوية
65	رسالتان إلى بعض القبائل المغربية
67	الرازية
73	الدرر البهية في مدح رجال الشاوية
83	دالية
94	نداء
	الطاهر بن محمد الأفراسي

صدر عن منشورات «عيون المقالات»

- مبادئ في علم الأدلة : تأليف رولان بارت ، ترجمة محمد البكري
- نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب : الدكتور أمجد الطرابلسي
- سوسيولوجيا الثقافة : الطاهر ليب
- دروس في جغرافية المناخ -1- عناصر المناخ : أحمد بلاوي
- العرب والنموذج الأمريكي : د. فؤاد زكرياء
- عصر البنيوية : إديث كيرزويل ، ترجمة : جابر عصفور
- تلك الرائحة (قصص) : صنع الله إبراهيم
- رباعيات نساء فاس (العروبيات) : محمد الفاسي
- المكتبة السينمائية - 1 - التصوير : لوي دي جانتي
- المكتبة السينمائية - 2 - الاخراج : لوي دي جانتي
- ينابيع الثقافة ودورها في الصراع الاجتماعي : بوعلل ياسين
- الماركسية والنقد الأدبي : تيري إيجلتون ، ترجمة جابر عصفور
- عبقرية الصديق (مقالات تحليلية) : مجموعة من المؤلفين
- رجال في الشمس (دراسات تحليلية) : مجموعة من المؤلفين
- الحركة السلفية : مجموعة من المؤلفين
- مدخل الى السيميوطيقا : بإشراف سيزا قاسم .
- انتفاضة الشاوية : أحمد زيادي
- الأسطورة والرواية : ميشيل زيرافا : ترجمة : صبحي حديدي
- في التنظير والممارسة ، دراسات في الرواية المغربية : حميداني حميد

وسيصدر قريباً :

- الوعي الذاتي : برهان غليون
- مداخل إلى علم الجمال الأدبي : عبد المنعم تليمة
- التراث بين السلطان والتاريخ : د. عزيز العظمة
- المعرفة والجنس من الحداثة إلى التراث : عبد الصمد الديلمي .
- القصيدة المغربية المعاصرة بنية الشهادة والاستشهاد : عبد الله راجع .


إذا كان لا ينتظر من المؤرخين الاستعماريين وأذئابهم الإنصاف والنزاهة فإنني، بعد أن اطلعت على ما كتبه عبد الرحمن بن زيدان عن اجتلال الدار البيضاء، وحركة المقاومة في الشاوية، أصبت بحية كبيرة، ووقفت على مدى تحكم المنصب الاجتماعي والسياسي للمؤرخ في ما يرويه من أخبار، وما يصدره من أحكام. وعلى مدى انجذابه نحو الزاوية الرسمية في تتبعه للوقائع والأحداث، وتلويحه لها بألوان ترضي كل المتورطين فيها ما عدا الشعب الذي يحاول باستمرار وبمشقة صنع تاريخه بنفسه، فلا يجد إلا من يعرقل مساعيه، ويقلم أظافره، وينزع أنيابه، ويشوه حركته، ويسفه أهدافه، ويسلبه كل فضل، ويحمله كل التبعات.

وقد حاولت، في أول الأمر، جمع أخبار هذه الحادثة، وما قيل فيها من قصائد وأزجال وخطب وكتابات من أفواه من شهداها عياناً، أو سمع عنها في حينها أو عاشها من قريب أو بعيد، أو احتفظ ببعض وثائقها.

لقد كان من وراء تأليف هذا الكتيب طموح علمي خالص، وغيرة وطنية صادقة بعيدة عن كل تعصب إقليمي ضيق.

وهذا الكتيب يعنى أساساً باستقراء الأسباب الحقيقية للانتفاضة، واستجلاء ظروفها واستشفاف أجوائها، واستطلاع أصدائها.

أحمد زيادي

منشورات  عيون ص. ب. 6714، سيدي عثمان، الدار البيضاء 04.

الثمن : 13 درهما

الايداع القانوني 473 \ 86